«كما هو معروف، فقد شهدت المعايير التي يعتمدها المختصون في المجالين الاقتصادي والمالي لقياس الثروة، عدة تطورات. فقد كانت القيمة الإجمالية للدول تقاس سابقا، حسب مواردها الطبيعية، ثم على أساس المعطيات المتعلقة بالناتج الداخلي الخام، الذي يعكس بدوره مستوى عيش المواطن. وبعد ذلك، تم اعتماد مؤشرات التنمية البشرية، لمعرفة مستوى الرخاء لدى الشعوب، ومدى استفادتها من ثروات بلدانها.

وخلال تسعينات القرن الماضي، بدأ العمل باحتساب الرأسمال غير المادي كمكون أساسي، منذ سنة 2005، من طرف البنك الدولي. ويرتكز هذا المعيار على احتساب المؤهلات، التي لا يتم أخذها بعين الاعتبار من طرف المقاربات المالية التقليدية.

ويتعلق الأمر هنا بقياس الرصيد التاريخي والثقافي لأي بلد، إضافة إلى ما يتميز به من رأسمال بشري واجتماعي، والثقة والاستقرار، وجودة المؤسسات، والابتكار والبحث العلمي، والإبداع الثقافي والفني، وجودة الحياة والبيئة وغيرها.»

مقتطف من الخطاب الملكي السامي الذي وجهه جلالته حفظه الله إلى الأمة،
بمناسبة عيد العرش، 30 يوليوز 2014

الفهرس

افتتاحية

تواصل المجالات ومجالات التواصل
محمد امباركي
المدير العام
لوكالة جهة الشرق
5

تمهيد

«شقت وكالة جهة الشرق طريقا بفضل شراكاتها المبدعة على الصعيد الدولي»
شكيب بنموسى
سفير المملكة المغربية
بفرنسا
7

«مسلسل التنمية الجهوية بالمغرب يستند أيضا على مبادلات ثقافية قوية»
محمد عامر
سفير المملكة المغربية
بالمملكة البلجيكية
9

كل الحواس مدعوة لتعميق استكشاف جهة الشرق المغربي
جاك لانغ
رئيس معهد العالم العربي
11

جهة الشرق خصبة بالإنتاجات الثقافية

عشر سنوات من الإبداع الفني بجهة الشرق
عز الدين عبد الوهابي
مدرس فنون تشكيلية
(أميان-فرنسا)
رئيس جمعية شبكة الفن A-48
12

شهادة فنان
أسماء الورياشي
22

وجدة، ألف تاريخ وتاريخ
الأستاذ بدر المقري
أكاديمي وباحث
وأستاذ جامعي
23

نشر الإبداع من أجل تجاوز الركود
محمد العبدلاوي
رئيس المجلس الإقليمي لجرادة
35

جرادة تعرض إبداعاتها المعاصرة ومختلف أشكال تراثها

استقبال جماعة سان- جوس لبروكسيل
إمير كير
نائب وعمدة
جماعة سان-جوس
و
إيريك جاسان
مستشار مكلف بالعلاقات
الدولية جماعة سان
39

الفن من أجل مواجهة الخطوب
روني ديميسنير
مدير
مكتبة جماعة سان-جوس
41

شهادات فنانين
جواد مباركي
زينب نصري
42

الفنون وأشكال التراث المختلفة، عوامل للجاذبية الجهوية

الفن والتراث : أدوات ممتازة للترويج
سعيدة ماهر
مكلفة بمهمة - وكالة جهة الشرق
44

شهادة فنان
إبراهيم حمامي
56

في جهة الشرق أيضا، الحكاية، مرآة للمجتمع
نجيمة طاي طاي غزالي
أستاذة وجامعية
57

شهادات فنانين
محمد تاغزوت
محمد بنحمزة
62

الحايك، تحفة تشكيلية ولباس تراثي يمثل هوية جهوية
خديجة الفاضلي
أستاذة ومصممة
64

شهادات فنانين
فيق فيق
سعيد أفزيوم
68

نظرة نقدية شاملة لقرابة 100 سنة من التاريخ
إدريس الرحاوي
مسؤول
أروقة العروض الفنية لوجدة
70

الفنون تشير إلى المستوى الحضاري للمجال الترابي
سامح درويش
شاعر وكاتب
74

شهادات فنانين
فريديريك فوردينيي
دليلة العلوي
78

نحن والآخر
الشيخ مصطفى بنحمزة
رئيس المجلس العلمي لوجدة
80

• مدير النشرة :
محمد امباركي
• سكرتيرة التحرير :
سعيدة ماهر
• الترجمة إلى العربية : أبدر المريني
• الإشراف على العربية : الكبير حنو
• تصميم : TOPIC
• الإيداع القانوني : 24/07 : ISSN : في تحضير
• وكالة جهة الشرق :
13، زنقة محمد عبدو، 000 60 - وجدة
• الهاتف : 68 58 70 36 5 (212+)
• الفاكس : 52 58 70 36 5 (212+)
• الموقع : www.oriental.ma

لا تلزم الآراء المنشورة إلا أصحابها.

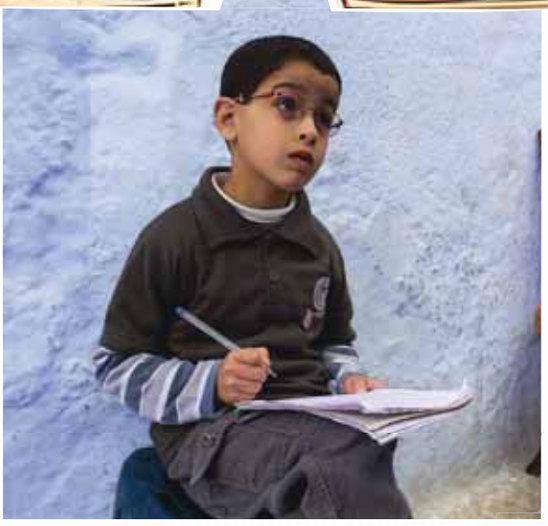

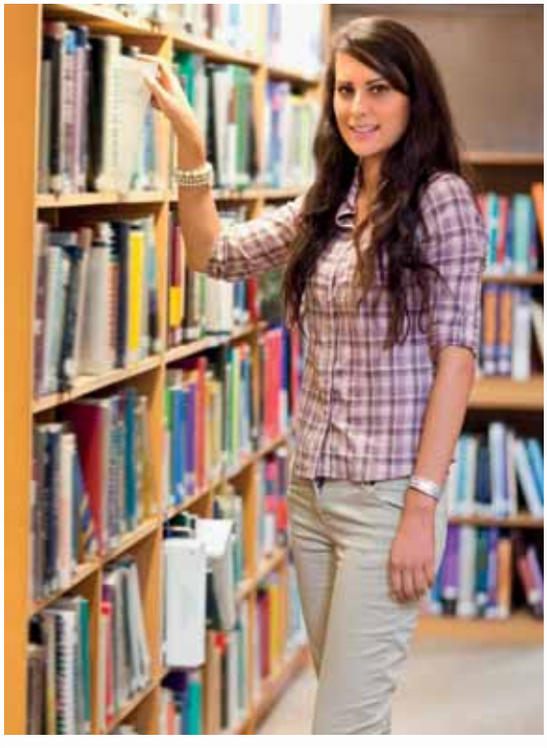

آداب مغاربية

ⵜⴰⵡⵔⵉⵖⵜ ⵏ ⵍⵎⵖⵔⵉⴱ ⴰⵡⴰⵍⵏ

LETTRES DU MAGHREB

المعرض المغاربي للكتاب

الدورة الثانية

من 18 إلى 21 أكتوبر 2018

بعد النجاح البين للدورة الأولى في سنة **2017**، تستعد مدينة وجدة لإحتضان معرض مغاربي جديد للكتاب تعبأ من أجله العديد من الكتاب والناشرين. ومن المنتظر أن يؤثث هذه التظاهرة مئات المثقفين وعشرات الآلاف من الزوار.
ومن المتوقع أيضا أن تنظم خلال هذه الدورة عروض فنية، ويقام معرض للفنون التشكيلية، وحفلات تكريم وتوقيعات، وغيرها من الفعاليات.
وستكون ساحل العاج ضيف هذه الدورة الثانية كما كانت السنغال ضيف دورة **2017**.

كل المعلومات متوفرة على موقع
www.lettresdumaghreb.com

وكالة جهة الشرق

13 زنقة محمد عبدو، 000 60 - وجدة
الهاتف : 68 58 70 36 5 (212+) • الفاكس : 52 58 70 36 5 (212+)
الموقع الإلكتروني : www.oriental.ma

تواصل المجالات و مجالات التواصل

محمد امباركي
مدير عام
وكالة جهة الشرق

المؤسسة الوطنية للمتاحف بالرباط، متحف كُو كُنهايم ببلباو، معهد العالم العربي بباريس ومتحف اللوفر بأبو ظبي... هي بعض المنجزات التي تترجم مفهوما قويا "الدبلوماسية الثقافية". على ماذا تستند هذه الدبلوماسية ؟ على الصورة التي يرغب أساسا، البلد أو المجال أن يعطيها عن نفسه لمواطنيه وللخارج. فما هو الرهان وراء ذلك ؟

إن ربط المجال الترابي بالفن والثقافة، هو إدراج هذا المجال في اقتصاد المعرفة والإبداع، وهو تأكيد لقيم حضارية ومنحها للمجتمع الإنساني الذي نعمل على الارتقاء به. ففي إطار استراتيجيات (soft power)، يسعى كل مجال ترابي إلى تثمين مبدعيه وتراثه، ويؤكد طابعه الكوني بإبراز كل ما يمكن أن يثير الإعجاب والتقدير. هنا، يمكن تعبئة كل الميادين الإبداعية، من السمعي إلى البصري، ومن التذوقي إلى اللمسي...

لقد تفضل صاحب الجلالة نصره الله، سنة 2014 بإضفاء رعايته السامية على حدثين هامين لهما بعد دولي : معرض "مغرب العصر الوسيط" بمتحف اللوفر بباريس، الذي أظهر للعالم، بالصورة والوقائع، التواجد الدائم للمملكة في شمال إفريقيا، تنظيمها الإداري والعسكري وإشعاعها الثقافي... وفي نفس الفترة، نُظم أيضا معرض آخر مهم بمعهد العالم العربي "المغرب المعاصر"، أبرزَ ما يُنتجه اليوم ببلادنا، دون إحراج أو حظر، المبدعون، الفنانون، الرسامون، النحاتون، التشكيليون، المعماريون، الموسيقيون والشعراء... هاتان التظاهرتان، وكذا الخطابات الملكية السامية في مناسبات عديدة، سمحت للمجالات الترابية بأن تتجرأ على الحديث عن عمق وتنوع ثرواتنا المتقاسمة. وهذا يجسد مغزى عمل وكالة جهة الشرق على الصعيد الدولي.

بين الخطاب الملكي لوجدة سنة 2003 وخطاب العرش لسنة 2014، إحدى عشر سنة من الجهود والاستثمارات العمومية الكبيرة، غيرت في العمق، الواقع الجهوي لجهة الشرق. وانطلاقا من 2014، فإن التركيز على المؤهلات التراثية واللامادية لتطوير جهتنا تم تجسيده على أرض الواقع عبر عمليات تهدف إلى الارتقاء بصورة الجهة وأيضا صيتها لدى المستهدفين الأساسيين لتواصلها، أي أصحاب القرار وكل من هم في وضع يسمح لهم بالعمل لفائدة التنمية المستدامة لجهة الشرق.

يتطرق هذا العدد من المجلة بالتفصيل لثلاث أحداث رئيسية ويشير أيضا لأخرى عديدة. وهو يبرز الهدف الدائم ومختلف الطرق للمساهمة فيه عبر شراكات بأشكال متعددة، مع مؤسسات وكذا مع مجالات ترابية على الصعيد الدولي. فصورة الجهة التي كان ينظر إليها سابقا على أنها منطقة معزولة، ينحصر نشاطها في الزراعة والاستغلال المنجمي تغيرت بشكل جدري : فجهة الشرق بالنسبة لسكانها ولجاليتها بالمهجر وشركائها والمواطنين المغاربة الآخرين أو بالنسبة للخارج، أضحت أرضا للثقافة والمعرفة والابداع. كل من ساهموا طواعية في محتوى هذا العدد نالوا نصيبهم من هذه الجهود وأدرجوها في ديمومة الاستراتيجية الجهوية. لهم منا خالص التقدير والتشكرات، خاصة في هذه السنة التي قررت فيها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن تكون وجدة، اعتبارا لحجمها الثقافي، "عاصمة الثقافة العربية".

وهكذا، فإن سنة 2018 تؤكد حكمة الرؤية الملكية التي ارتقت بتراث جهوي، كان بالأمس في وضعية سكون، وأصبح اليوم يشع بألف نور لنهضة ثقافية تروم تشريف المغرب وإثبات ذاته على الصعيد العالمي.

ORIENTAL.MA Beaux Livres

سـحـر الـتـراث؛
وقـنـاعـتـنـا بأنـه إسـتـثـنـائي.

www.oriental.ma

وكالة جهة الشرق

«شقت وكالة جهة الشرق طريقا بفضل شراكاتها المبدعة على الصعيد الدولي»

سعادة السيد شكيب بنموسى
سفير المملكة المغربية
بفرنسا

للمملكة المغربية والجمهورية الفرنسية قناعة مشتركة يترجمانها عبر عمليات ملموسة : تقاسم الثقافات مصدر غنى متبادل. فالبَلدان عصريان ويؤكدان ذلك بكل عزم علاوة على تثمين تراثهما الوطني ذي الجذور الضاربة في أعماق التاريخ.

بمعهد العالم العربي، تأتي ثروات حضارية شبه مجهولة لتقابل زوارا من العالم بأسره. وهنا، تتعلم ثقافاتنا من بعضها البعض وتؤكد لكل واحد كل الأسباب الجيدة الداعية للاحترام والتقدير المتبادلين.

إنه لمن دواعي السرور أن يأتي المغرب إلى هذا الصرح ليتحدث قليلا عن نفسه ويخلق الرغبة للتعرف عليه أكثر.
«Le Maroc Contemporain» كانت الفرصة الأولى التي تلقفتها وكالة جهة الشرق للارتقاء بجهتها عبر مبدعيها. إنه اختيار استراتيجي في منطق التدخلات المتعددة لهذه الوكالة في الحقل الثقافي. وهذه المشاركة الأولى تواصلت بصورة طبيعية عبر تظاهرة «Les chemins du Sacré». وقد أثار الحدثين الكثير من الاهتمام والحماس لدى الجمهور المختلف، ومن بينه أفراد الجالية المنحدرين من جهة الشرق.

منذ سنوات عديدة، ما فتأ صاحب الجلالة الملك محمد السادس يذكر المغاربة وباقي العالم بغنى ثقافتنا. وهكذا، فقد جعل من «تراثنا اللامادي»، أحد مفاتيح تنميتنا المستدامة، ليرسخ بصورة نهائية حداثتنا في أعماق تاريخنا. ويبقى خطاب العرش الذي ألقاه صاحب الجلالة في يوليوز 2014 النص المؤسس لهذه المقاربة وللبرامج النابعة منها.

تفتخر المملكة بأن تقدم نفسها للمشاهدة وللاستماع وللقراءة وللفهم... وحتى للتذوق حينما يتعلق الأمر بفن الطبخ. وفي هذا الإطار، سوف يُفتتح قريبا في قلب باريس، على جادة سان ميشال التي يا ما وطأتها أقدام الطلبة المغاربة، مركز ثقافي مغربي مكرس للإبداع المعاصر. وقد كان صاحب الجلالة محمد السادس قد أعلن ذلك سنة 2016، بحضور رئيس الجمهورية الفرنسية، بالضبط بمعهد العالم العربي. وسيتحول الأمر إلى واقع في 2020.

يحمل العنوان رمزية : فهنا، في الرقم 115 بالضبط، جاءت أجيال من المغاربيين للحديث عن الاستقلال والتحرر، ثم عن التنمية والتقدم. وسيقيم المغرب في هذا المركز فضاء للارتقاء بثقافات المغرب والالتقاء مع الثقافات الأخرى. وسيظل هذا الفضاء منفتحا على المجال المغاربي ويعطي المكانة اللائقة للتعبيرات المحلية، وهي ضرورة في وقت تُجسد فيه المملكة «جهويتها المتقدمة» وحيث تصدير دستورها الجديد يؤكد قبول الاختلافات وإرادة العيش المشترك في احترام لكل المكونات التي أسست هويتها.

من هذه الزاوية، فتحت وكالة جهة الشرق طريقا عبر شراكاتها الثقافية المبدعة على الصعيد العالمي. هذا وإن الارتقاء بالسمعة والصورة الجهويين، بالاستناد على المبدعين المحليين ومختلف أشكال التراث الجهوي، يعد مفهوما قويا، وبالتالي فإن سفارة المملكة بفرنسا توفر له دعمها الكامل.

ORIENTAL.MA Beaux Livres

سـحـر الـتـراث؛
وقـنـاعـتـنـا بأنـه إسـتـثـنـائي.

www.oriental.ma

وكالة جهة الشرق

سعادة السيد محمد عامر
سفير المملكة المغربية
بالمملكة البلجيكية

«مسلسل التنمية الجهوية بالمغرب يستند أيضا على مبادلات ثقافية قوية»

إن التعاون القائم والمتنامي بين المغرب وبلجيكا متنوع ومثمر.
تحظى جهة الشرق، وهي شريك مفضل في هذا التعاون، باهتمام خاص يُترجم واقعا ديموغرافيا وثقافيا يتمثل في كون العديد من العائلات من أصل مغربي التي تعيش ببلجيكا تنحدر من هذه الجهة.
بالتالي، فإن المجتمَعين المدنيين يجدان بدون صعوبة أبدالا بالبلدين، سواء عبر منتخبين أو عبر منظمات غير حكومية محفزة وفاعلة، للتعاون الجيد والتبادل المشترك.
تتعدد الحقول التي تشملها هذه الشراكات، وهي ترتبط بالمنهجيات التقليدية للتنمية، ولكن أيضا بالمعرفة، بفضل المساهمة النشيطة جدا لجامعة محمد الأول لوجدة.

أما التعاونات اللامركزية فهي حديثة نسبيا ولكنها أخذت حجما متميزا وملموسا. فقد أقيمت عمليات توأمة مثمرة وحيوية بجهة الشرق المغربي منذ عدة سنوات، بين مدن الناظور ومالين، وبركان وسان-جيل، وأيضا بين الجماعة القروية لعين بني مطهر وإقليم جرادة، مع جماعة سان-جوس-تين-نود التابعة لبروكسيل.
تعمل وكالة جهة الشرق على دعم هذه العمليات بل وتنخرط فيها، خاصة في مجالات الصحة والتربية والثقافة. وفي هذا المجال بالضبط، انتظم حدث «Saint-Josse, Place pour Tous»، حيث كانت مدينة جرادة، شريكة التوأمة، ضيف الشرف.

جاء فنانون تشكيليون وكذا العديد من الشخصيات الثقافية من جهة الشرق ليقدموا في آن واحد جزءا من التراث الضخم المادي واللامادي للجهة، إلى جانب إبداعات معاصرة مخصصة في غالبيتها لهذه التظاهرة والمصممة والمعدة خصيصا للمناسبة.
وبتواطؤ مع المنتخبين والمجتمع المدني، تمَلك الفنانون المدينة عبر العديد من فضاءاتها الرفيعة، بما فيها أماكن عمومية خارجية، مما أثار اهتمام وفضول جمهور عريض.

جعلت وكالة جهة الشرق إقامة هذه التظاهرة ممكنا ونظمتها. وهذا يؤكد مدى اعتماد مسلسل التنمية الجهوية بالمغرب أيضا على مبادلات ثقافية قوية حيث تعتمد صورة جهة الشرق المغربي في جزء منها على ثروتها التراثية وعلى حيوية مبدعيها.

لقد أصبح شركاؤنا يعلمون أن المملكة المغربية ولجت الواقع الملموس لـ «جهويتها المتقدمة» وبأن المخاطبين المناسبين للمجتمعات الأوروبية هم حقا نظراءهم المغاربة. ويؤكد الارتقاء الجهوي الترابي هذا، تنوع الثقافات المحلية والمكونات المختلفة التي صنعت مغرب اليوم، والتي لم يتوان في الاعتراف بها وتثمينها الدستور المغربي الجديد، الذي أراده صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله.

إن حدث سان-جوس والدور النشيط الذي اضطلع به ضيف الشرف، جهة شرق المغرب، تظهر بجلاء حقيقة لامركزية الأنشطة الثقافية بالمملكة المغربية والحماس الذي تستطيع مجالاتنا الترابية أن تستحثه كلما كانت الفرصة سانحة لفتح المجال للثقافات التي تحملها وللمبدعين الذين أبرزتهم حياتها الفنية المحفزة.

يحتفي بالفنون وبالأشكال المختلفة للتراث على أعلى مستوى

صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله يدشن، يوم 6 ماي 2017 بمعهد العالم العربي، معرض «Trésors de l'Islam en Afrique, de Tombouctou à Zanzibar»، برفقة رئيس الجمهورية الفرنسية السيد فرانسوا هولاند، وسعادة السيد شكيب بنموسى، سفير المملكة المغربية بفرنسا، والسيد جاك لانغ، رئيس معهد العالم العربي

السيد جاك لانغ يستقبل معرض«Les Chemins du Sacré» بحضور سعادة سفير المغرب بفرنسا السيد شكيب بنموسى

صاحبة السمو الملكي الأميرة للا مريم والرئيس الفرنسي السيد فرانسوا هولاند يفتتحان، يوم 14 أكتوبر 2014 بمعهد العالم العربي، معرض «Le Maroc Contemporain»

صاحبة السمو الملكي الأميرة للا مريم والسيد جاك لانغ يستقبلان السيد فرانسوا هولاند، رئيس الجمهورية الفرنسية، في حفل تدشين معرض «Le Maroc Contemporain»

جاك لانغ
رئيس معهد العالم العربي

كل الحواس مدعوة لتعميق استكشاف جهة الشرق المغربي

الوزير السابق الفرنسي للثقافة والرئيس الحالي لمعهد العالم العربي هو أولا وقبل كل شيء الرجل الذي حمل على عاتقه قضية الثقافة وخاصة المسرح بناحيته. وكونه يحمل خلفية الإقليمي «الصاعد» إلى باريس، ساهم دون شك في اهتمامه المتميز بالجهات.

تبرز جهة الشرق منذ زهاء أربع سنوات، كشريك مميز لمعهد العالم العربي. وقد رأى أول تعاون مثمر النور سنة 2014 خلال معرض «Le Maroc Contemporain» الذي خصص للفورة الإبداعية المغربية.

فضلا على الدعم المقدم لهذه التظاهرة العالمية، تفوقت وكالة جهة الشرق، في بداية 2015، في تنظيم معرض تحت عنوان «Entre nous, Être nous l'Oriental marocain». وقد سلط هذا المعرض الضوء على 13 فنانا مغربيا وأظهر تنوع التعبيرات التشكيلية والموسيقية والشعرية، وكذا غنى هذه الإبداعات. وقد تم إصدار كتاب جميل ما زال يشهد على هذه التظاهرة التي أبهجت جمهور معهد العالم العربي.

استثمارا في هذا النجاح، فإن معرض «Les Chemins du Sacré» المنظم سنة 2017، واصل تعريف زوار المعهد والفرنسيين عموما، بالغنى الإبداعي والروحي لهذه الجهة الجميلة.

فنون تشكيلية، موسيقى، رقص، محاضرات، قراءات، كل الحواس كانت مدعوة لتعميق استكشاف جهة الشرق. وهناك اليوم رابط قوي يجمع معهد العالم العربي ووكالة جهة الشرق، في الرغبة في تعريف أفضل بثروات المغرب.

عشر سنوات من

الإبداع الفني بجهة الشرق

عز الدين عبد الوهابي
مدرس فنون تشكيلية
(أميان - فرنسا)
رئيس جمعية شبكة الفن A-48

الكاتب من مواليد الجهة، وهو مبدع تشكيلي مكون وذو تجربة، سخر جهده باكرا جدا للأحداث المخصصة للفن المعاصر. وهو مناضل جمعوي وكذا ناقد فني ومحلل، كما كان مفوضا للتظاهرات التي تدعمها وكالة جهة الشرق بأوروبا.

الفن يتحرك

في يوليوز 2017، أقيم معرض تحت عنوان «Les chemins du Sacré dans l'Oriental Marocain» بمعهد العالم العربي بباريس. وقد شكل هذا الحدث الثقافي المتعدد الاختصاصات ثمرة منهج تواصَل طيلة حوالي عشر سنوات بالجهة ويتوخى أهدافا عدة :

- إبراز الفنانين المبدعين بجهة الشرق وتكريمهم ؛
- استعمال الثقافة كوسيلة للتواصل بالنسبة لجهة تشكو من نوع من العزلة الوطنية والدولية.

هذا المعرض، كما معرض 2015 «Entre nous ; Être nous l'Oriental Marocain» بنفس المكان، أو معرض 2016 ببروكسيل، هو ثمرة جهد مضني حول المسألة الثقافية ومكانة الفن في التنمية الجهوية.

نفس جديد

إن مقاربة العمل الفني هذه بدأت مع بداية القرن حيث شهدنا فورة في الإبداع المعاصر بوجدة وبالجهة.

ما هو سبب هذا الشكل من التجديد ؟ كيف يمكن استدامة هذه التجارب الجمالية الجريئة والجديدة ؟

كيف نطور أكثر الساحة الفنية ونغنيها ؟

من الواضح أنه بعد الخطاب الملكي لـ 18 مارس 2003، عرفت الجهة تجديدا جذريا في مجال البنية الثقافية. فبوجدة، تم تشييد قاعتين للعرض سنة 2008. الأولى، في المدخل الشمالي للمدينة، تتميز بطابعها المعماري الجريء وشكلها المعاصر. والثانية تجاور المدينة العتيقة وتندمج تماما مع معمار المدينة القديمة. ويتمم موقع ثالث، المرتبط بمسرح محمد السادس الكبير الذي افتتح سنة 2014، هذه التجهيزات. في نفس الزخم، اختارت منشآت خصوصية وعامة كالمطار والمركز الاستشفائي الجامعي والثانويات والمدارس والفنادق... هذا المنحى وطورت فضاءات للعرض.

قد حرر هذا التجديد التي تعرفه التجهيزات القدرات الفنية لمبدعي جهة الشرق. كما أنه مكن من تنمية مبادرات غير مسبوقة. هكذا، تم إحداث لقاءات فنية جهوية ووطنية ودولية، وكذا مهرجانات للفن المعاصر. وقد فجرت هذه الوضعية عرضا فنيا متنوعا.

يعتبر دور الدولة ضروريا لأنه أقام القواعد : التجهيزات الثقافية، وهي شرط أساسي للبروز. كما أن الدولة أعطت دفعة قوية للإبداع الفني عبر أدوات مثل الدعم المالي. ومن هذا المنظور، فإن الفن والثقافة هما سياسيتان بالأساس.

« أعطت الدولة دفعة قوية للإبداع الفني. »

وهما ينبعان من رغبة السلطات العمومية ووعي المنتخبين، اللتان ينبغي أن يضاف إليهما الانخراط الإيجابي للمجتمع المدني.

ترسيخ العمل الفني والثقافي بالجهة

منذ 2010، أحدثت جمعية شبكة الفن A-48 المهرجان الأول المخصص للإبداع المعاصر، وهي مبادرة تدعمها وكالة جهة الشرق والمجلس الجهوي لجهة الشرق والمديرية الجهوية لوزارة الثقافة. وهذه المبادرة الفريدة تعرض في نفس الوقت الإبداعات المحلية والوطنية والدولية، من أجل فك العزلة عن الجهة على الصعيد الثقافي. وقد تم ربح الرهان، حيث عرض فنانون مغاربة مثل محمد القاسمي ومحمد المليحي والشعيبية... لأول مرة بوجدة. كما أن المبدعين الوجديين غزوا بدورهم الفضاءات العمومية كالساحات والحدائق... وقاموا بعروض على شكل إقامات وفيديوهات وإنجازات. وشارك فنانون من الجالية المغتربة في هذا المعرض. وقد صاحب كل ذلك تفكير في وضعية الفن المعاصر بالمغرب. ويتعلق الأمر دون أدنى شك بعمل تأسيسي.

واصل مهرجان «Orient'Art Express» الذي أصبح في ما بعد «Orienta» في 2016، العمل الحثيث بالانفتاح أكثر على عالم الفن. فبعد إبراز الفنان المحلي والانفتاح على الفنانين المغاربة المغتربين وعلى جهات أخرى، رغب المنظمون في إدماج تجارب فنية دولية. وهكذا، ومنذ 2013، اضطلعت الفنانة التشكيلية دليلة العلوي بتنظيم الدورة الثالثة للمهرجان بمشروع غير مسبوق «تاريخ الضفتين». ويتمثل هذا المشروع في ربط العلاقة بين فناني مختلف ضفاف العالم مع التساؤل حول العلاقة الوثيقة بين مكان الإبداع والعمل الفني.

في سنة 2014، أعد عبد القادر دماني، وهو مندوب من أصول جزائرية، الدورة الخامسة على شكل مشروع بإسم «عدم الانفصال عن العالم» : وهي محاولة لإعادة تمثيل رحلة ابن بطوطة، كمعزوفة موسيقية، و«تجربة جديدة» للعرض تضاف إلى «حكاية» تاريخ الفن. وعلى شاكلة ابن بطوطة، كان المشاهد مدعوا إلى التجول من فضاء لآخر، لإعادة تشكيل الأسفار الحميمية للفنانين ليجعل منها سردا واحدا، سرده هو. كل مكان يمثل مرحلة من سفر في كل أبعاده : استكشاف الذات، تجربة الغيرية...

في هذا المسار، يجاور الفن المعاصر نصوص ابن بطوطة، ووصفه للعالم كتحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.

بالنسبة للدورة السادسة لسنة 2016، أنجز مندوبان هما كريستوف بولنجي وابراهيم باشري، مشروع «في ركن الممكنات» والذي صمم على شاكلة جولة بمدينة وجدة كما لو كانت مدينة-عالم. هذا المشروع تم تصوره كصدى للدورة السابقة، التي اقترحت صورة الفنان كمساح أراضي العالم.

الزائر، المزود بدليل، كان بإمكانه أن يذهب لملاقاة أعمال جديدة أنجزت بالمناسبة في أماكن مختلفة بالمدينة، وهي طريقة جديدة للاقتراب من المدينة، وفضاءاتها المعروفة وأحيانا المنسية. ويرغب المنظمون في ترسيخ ممارسة فنية خاصة ومجددة بجهة الشرق بتشجيع الحوار الغني بين المندوبين المدعوين من أجل أن يندرج في تاريخ كوني للفن. وبذلك تصبح وجدة قوة اقتراح فنية، ومكان خصب بوسعه إنتاج رؤية ايستيتيقية.

فنان جهة الشرق في تكوين مستمر

إن نقص المدارس المتخصصة وتكوينات جامعية في مجال الفن كانت عائقا كبيرا بالنسبة لفناني جهة الشرق، لأن التكوين الوحيد التي توفره الجهة يتوقف في مستوى الباكالوريا : شعبة الفنون التطبيقية، التي توفرها ثانوية المهدي بن بركة لوجدة.

منهج جمعية شبكة الفن A-48 عبر مشروع «Orienta»، يستجيب لرغبة التركيز على الوساطة الثقافية لتمكين أكبر عدد من استيعاب الإبداع المعاصر بارتباط مع التعلمات ومع علاقته بتاريخ الفنون بالخصوص. «Orienta» ترغب هكذا في المساهمة في التنمية الثقافية والفنية لجهة الشرق بإدراج مشروعها ضمن دينامية محلية وجهوية، ولكن أيضا تشاركية في اتجاه كل أطياف الجمهور : مؤسسات مدرسية وجامعية، بنيات جمعوية... هذه المقاربة العرضانية المتمحورة حول الإبداع والتفكير طورت لدى الفنانين رغبة في التقدم. وقد حثتهم على توسيع مؤهلاتهم الفنية والثقافية والاستفادة من اللغات الجديدة والوسائل التشكيلية لتنمية مخيلتهم وخصوصيتهم.

هذه الخطوة – التي يمكن أن نعتبرها تاريخية – فتحت المجال والرغبة للفنانين لاستكشاف طرق جديدة، وتجارب أخرى... وقد فرضت المواجهة مع فنانين قادمين من جهات أخرى لدى الفنانين المحليين تساؤلات حول التصور والعلاقة مع المشاهد ومع أماكن العرض. وبدأ نفس هؤلاء الفنانين في مساءلة ممارسة فنية تعتمد فقط على البعدية الثنائية للوحة التقليدية للاهتمام أكثر بمكانة الإبداع في الفضاء وقراءته من لدن الجمهور. هذا النهج استدار نهائيا نحو الفن المعاصر.
وتترجم الممارسات التشكيلية لفناني وجدة إرادة لمساءلة البيئة التي يعملون فيها، وعن مكانة الفن والفنان في المجتمع.
وقد أصبح الفن وسيلة للحديث عن العالم ومعرفته وتملكه.

وكالة جهة الشرق تدعم التنمية الثقافية

تقدم وكالة جهة الشرق للفنانين وللجمعيات الثقافية مساهمة مهيكلة بواسطة سياسة الدعم والمساعدة للتوزيع والنشر. وهكذا، تم إنجاز العديد من المنشورات والمصنفات أوالدراسات في ظرف عقد من الزمن.
مع شبكة الفن A-48، أصدرت الوكالة سنة 2005 كتابا جميلا تحت اسم «جهة الشرق المغربي، رغبات فنانين وشغف مبدعين»، يعرض التاريخ الجهوي للفنون التشكيلية ويقدم الفنانين الرئيسيين للجهة، وهي مبادرة فريدة بالمغرب.
هذا الكتاب الجميل، المعد كمساهمة في تنمية الفنون التشكيلية بالجهة، يترجم إرادة إستراتيجية لوكالة جهة الشرق.

يعطي هذا المؤلف، الثمين بالنسبة للباحثين، ومحترفي الفن وللفنانين أنفسهم، نظرة كاملة عن الإبداع التشكيلي بجهة الشرق.

كما يوفر نظرة استيعادية تمكن أيضا من تقييم الوضعية الحالية كما الوضعية السابقة، وكذا من استشراف آفاق هذا الإنتاج الغني والمتنوع.

شراكات دولية

تظل سياسة الدعم ضرورية من أجل تطوير المشاريع الكبرى، التي تربط الفنان بالجمهور الجهوي مع خلق شروط ازدهار تام للتعبير الفني بالجهة، ولتأكيد هوية قوية لجهة الشرق في مغرب الغد. «*هذا الانفتاح على العالم يعني في المقابل انفتاح العالم على مبدعي جهة الشرق. وحركة الفنانين كما حركة الأعمال الفنية أضحت بالتالي ميسرة كثيرا* »، كما يكتب محمد *امبا*ركي، المدير العام لوكالة جهة الشرق.

إن وضع الفنان في صلب السياسة الثقافية التي ترسي شروطا جيدة لخلق وإظهار أعماله وللاحتراف، هي الإرادة المتقاسمة لوكالة جهة الشرق وشبكة الفن A-48.
ومنذ 2011، بدأ الفنانون الجهويون يعرضون في أرقى التظاهرات العالمية، بالمغرب وخارجه.

سهل هذا الدعم مشاركة العديد من فناني الجهة في مختلف دورات عرضي الدار البيضاء ومراكش اللذان يعقدان كل سنتين، وملتقيات الفن للرباط، وفي تظاهرات أخرى كثيرة.

«Entre nous ; Être nous l'Oriental Marocain» أول عرض للفن المعاصر

في سنة 2015، اجتازت وكالة جهة الشرق مرحلة جديدة بإدراج الجهة في المعرض الكبير «Le Maroc contemporain» المنظم بمعهد العالم العربي بباريس. وقد جمع هذا المعرض 80 مبدعا مغربيا من مختلف الآفاق الفنية وأظهر حيوية وغنى الإبداع المعاصر في مغرب اليوم. ففي الطابق التاسع للمؤسسة، اندمج فنانو جهة الشرق في هذه الدينامية وعرضوا أعمالا معاصرة بشكل واضح تتماشى مع سياق جهة الشرق المغربي.
أظهر المعرض «Entre nous ; Être nous l'Oriental Marocain»، حيوية المقاربات الطليعية للوحات الزيتية والفيديوهات والصور الفوتوغرافية والإقامات والشعر والرقص المعاصر والأشكال الموسيقية النابعة من هذه الجهة، التي تعد مجالات للتلاقح الخصب والتلاقي. ولم تكتف هذه التظاهرة بالفنون المرئية بل فتحت المجال لتعبيرات أخرى وصلت إلى فن الطبخ.
وسوف يطبع هذا الخيار اللقاءات الثلاثة المنظمة على المستوى العالمي.
بفضل هذا النهج الذكي والمجدد، فقد استطاعت الوكالة أن تعرف بفناني جهة الشرق وبموروثها اللامادي، في إطار إستراتيجية لتطوير صورة الجهة وصيتها.
وفي الوقت الذي يؤسس فيه المغرب الجهوية المتقدمة التي أقرها الدستور، فإن بروز الجهات يفرض تأكيد انتاجات وهويات الجهات.

Orienta 2018، الدورة السابعة

العنوان الذي اختير لهذه الدورة الجديدة، «L'Horizon des choses» يريد الإحالة أيضا بشكل من الأشكال إلى سؤال النظرة إلى الآخر، في الحدود بين نفسنا والآخر ولوسائل تمثل الغيرية.

كاتالوك المعرض الأول لفناني جهة الشرق بمعهد العالم العربي سنة 2015

تظل سياسة الدعم ضرورية من أجل تطوير المشاريع الكبرى.

«Saint-Josse, place pour tous»، معرض بسان-جوس، جماعة تابعة لبروسكيل

سنة بعد ذلك، ببروكسيل، عاصمة أوروبا، تنظيم تظاهرة سنوية «Saint-Josse, place pour tous» : في دورتها الرابعة، تدعو جماعة سان-جوس-تين-نود جهة الشرق من أجل تثمين مجالاتها الترابية وتنوعها الفني وثقافتها وتاريخها. ولهذه الغاية، يتم استغلال أماكن ومواقع رمزية، كالبرلمان الفرنكوفوني لجهة بروكسيل العاصمة والمناطق المعروفة بنشاطها الثقافي : ساحة سان-جوس، أكاديمية الفنون الجميلة، متحف شارليي، ميدان أرمان ستورس، المأوى الأوروبي، حديقة دار الجماعة والمكتبة الجماعية. وهكذا نشأ : «مسار الفنانين، جهة الشرق».

من الأهمية بمكان أن يركز الحدث الثقافي على الرموز. وهكذا، فإن تدشين الحدث تم في البرلمان الفرنكوفوني لبروكسيل، بحضور رئيسته جولي دو كروت، التي افتتحت الأمسية، والوزيرة الرئيسة فضيلة لعنان، المنحدرة من جهة الشرق المغربي، ورئيس العلاقات الدولية والتعاون، إيريك جاسان، وكذا مارك كولس، رئيس جمعية مدينة وجماعات بروكسيل. وقد كانوا حاضرين أيضا رؤساء جماعات بمدينة بروكسيل ومنتخبين ومسؤولين كبار، وكذا شخصيات مغربية، سفراء المغرب ببلجيكا، منتخبو جهة الشرق المغربي وأعضاء من المجتمع المدني الجهوي.
وقد نكهت هذه الأمسية حفلة الفنانة المغربية بيان بلعياشي، مغنية الغرناطي، وهو شكل موسيقي أندلسي يميز مدينة وجدة. وقد توأم ثلاثة فنانين، المصور باهي رحال والشاعر سامح درويش والفنان التشكيلي اليزيد خرباش، شجرتين، الأولى توجد بكفايت، وهي واحة بجهة الشرق المغربي. والثانية، المصنفة معلمة تاريخية، تزين حديقة جماعة سان-جوس-تين-نود. وقد استعملت أحجار ترصيف مجمعة بعد تجديد طريق جماعية كحامل ومادة لبعض الفنانين لإنجاز أعمالهم وتقديم نظرة متميزة عن ذاكرة جماعة سان-جوس. هذا المعرض، الذي يعتبر نظرة متقابلة بين مجموعة من الفنانين المعاصرين قدموا من جهة الشرق المغربي لتقديم أعمالهم وفنان أوروبي يستوحي إلهامه من جهة الشرق، يعبر عن إحساسات 16 فنانا اقتحموا بصباغتهم ورسومهم وإقاماتهم ونحتهم وفيديوهاتهم وصورهم الفوتوغرافية، فضاءات ستة مشرعة على المدينة. وقد تمكن كل واحد عبر تجواله من اكتشاف تنوع المنهج والحوامل والمواضيع. لقد أثار هذا «المسار الشرقي» المفعم بالتسامح والسلام ونكران الذات، إعجاب المشاهدين من كل الأعمار. وقد مثلت العروض لحظات تقاسم بين الجماهير المختلفة، منها سكان سان-جوس والزوار من بروكسيل قدموا بأعداد كبيرة لاكتشاف أعمال متميزة. لقد كان الأمر يتعلق بالنسبة لفنانينا بالتحاور مع ذاكرة هذه الجماعة وطرح نظرة إيجابية على تاريخها وسياقها الاجتماعي، لأن سكان الجماعة من أصل مغربي يشكلون الجالية الأجنبية الثانية. فالهدف كان مزدوجا : تثمين فنان جهة الشرق، وأيضا إعطاء صورة إيجابية عن المغرب. لقد كنا في سنة 2016 : شهور قليلة فقط بعد الاعتداءات الإرهابية التي شهدتها بلجيكا.

«Les chemins du sacré dans l'Oriental Marocain» المعرض الثاني بمعهد العالم العربي

كان معرض «كنوز الإسلام، من تمبكتو إلى زنجبار» بمعهد العالم العربي مخصصا للصلات الوثيقة بين العالم العربي الإسلامي وإفريقيا جنوب الصحراء.

فمن الماضي إلى الحاضر، ساءل المعرض مسارات انتقال وتقبل الإسلام من قبل الشعوب الإفريقية. وقد سجلنا أيضا مرة أخرى نقصا : فالمسارات التي قدمها المفوضون تشمل فقط طريق سجلماسة بالمغرب وتناسى إحدى الطرق الأهم، طريق فجيج، التي ساهمت في دخول الإسلام إلى إفريقيا، وخاصة إلى تمبكتو، وأثرت بصورة دائمة على فكرة المقدس بمناطق جنوب الصحراء.

موضوع المقدس - وهو تعبير عن شيء لا ينتمي لعالمنا - يثار حول أشياء تكون جزءا لا يتجزأ من عالمنا «الدنيوي»، «المدنس»، يعبر معرض «كنوز الإسلام، من تمبكتو إلى زنجبار». وتظاهرتنا «Les chemins du Sacré dans l'Oriental Marocain» كانت تندرج وتستند على نهجه ومقاربته المتعددة الاختصاصات. وهو يعرض نفسه كتنوع للدروب التي ينبغي قطعها، وهي دعوات للتفكير في الطابع المقدس للأشياء التي تحيط بنا، وحول الروحانيات التي تسمو بنا وحول الإبداع الفني الذي يتجاوز الطابع العابر لحياتنا.

أكد المعرض العلاقات الوثيقة بين جهة الشرق المغربي والمدن الإفريقية جنوب الصحراء، عبر مدينة فجيج، وكذا انتشار فكرة المقدس إلى ما وراء الحدود الجهوية. وقد ساءلنا إذا فكرة المقدس وكذا طريقة تجسيدها من خلال التعبيرات والأشياء اليومية البسيطة. ولهذه الغاية، هيئنا هذا العرض كمسالك متشابكة.

يؤكد تجاور أعمال معاصرة وأشياء تراثية تواصُل هذا المسار عبر القرون. وهو يجند الفن المعاصر، والتاريخ والانتروبولوجيا. وقد ساءلنا، مثلا، أزياء كالحايك والجلابة الصوفية، التي يرتديها نساءنا ورجالنا.

معهد العالم العربي يستقبل معرض «كنز الإسلام من تمبكتو إلى زنزيبار» ومعرضنا المتلازم «Les Chemins du Sacré dans l'Oriental Marocain»

واجهنا كتابات جان دو بوزانسونو في الموضوع من خلال دراسته لسنة 1935، مع حايك حقيقي من مجموعة المتحف الإيكولوجي لأحفير ومع عمل لإحدى الفنانات المعاصرات وهي سليمة عبد الحق، التي تركز عملها التشكيلي حول هذا الزي. وبنفس الطريقة، وضعنا جلبابا حقيقيا من الصوف من نهاية القرن التاسع عشر (مجموعة خاصة) في موازاة صورة الشيخ حمزة البوتشيشي، وهو متصوف ومقاوم للوجود الفرنسي منذ بداية القرن العشرين على غرار الشيوخ الكبار للطريقة التيجانية في إفريقيا الغربية.

> *هذا المعرض يعبر بالخصوص على إرادة متقاسمة للتحاور مع الغير.*

كما عرضنا أيضا أعمالا لأحمد حجوبي الذي يوظف مادة الصوف في أعماله التشكيلية المعاصرة...
سنذكر بالخصوص بـ «طريق المعرفة»، الذي نشطه العلامة مصطفى بنحمزة، رئيس مجلس علماء جهة الشرق، وعرض مواقف الإسلام اتجاه الفن والثقافة، وأبز قيم التسامح والسلام التي ينبغي أن تحكم العلاقات مع الآخرين، كل الآخرين.

أما «سبل التاريخ والحكايات» فقد أظهرت ذاكرة الجهة عبر حكايات الغولات والأبطال. «*على الحكاية أن تساعدنا على نقل نفس قيم الاحترام ونكران الذات هذه*» كما أكدت نجيمة طاي طاي، الوزيرة السابقة ومن مواليد جهة الشرق، والجامعية والباحثة، والمختصة في التراث اللامادي للمغرب.

«تدمير الأنا»، رقص معاصر، أنيما، لـ لوتز فاخندورف وزكي حمزة (يعيشانَ ويشتغلان بألمانيا)، 2017، معهد العالم العربي

أكد الأستاذان بدر مقري وعمار عبو على تاريخ وجدة وفجيج، وكذا على الروابط مع إفريقيا جنوب الصحراء، وخاصة تمبكتو. لقد بنينا إذا هذا المعرض على شاكلة عدد كبير من «السبل» :

- «سبيل المعرفة والتاريخ والحكايات والتناغمات» ؛
- «سبيل الجسد» (على رقصة أنجزتها أنيما، ولوتس لفاخندورف وزكي حمزة، وهم فنانون شباب منحدرين من الهجرة المغربية لألمانيا ؛
- «سبيل الأذواق» (تذوق أصناف لذيذة من جهة الشرق، أطباق محشوة بالرموز وبالإحالات الروحية)، سبل قام العديد من الزوار بارتيادها.

هذه التظاهرة الفريدة تدل، كما يؤكد ذلك محمد امباركي، على إرادة عميقة للانفتاح والتقاسم: «*إنها تُساءل الروحانية التي تسمو بنا وتثمن الإبداعات الفنية التي يضيء الأبدي عبرها العابر من حياتنا اليومية. وهذا المعرض يعبر بالخصوص على إرادة متقاسمة للتحاور مع الغير...*»

وغدا...

يشكل معرض ما خطابا لأنه يحمل معنى، وهو أيضا وسيلة للتواصل. لقد أعددنا هذه المعارض من أجل أن توجه الزائر نحو أشياء للتفكير، في الفضاء، ولكن أيضا من الناحية النظرية. فالمعارض لا يمكن أن تنحصر في مجرد شيء معلق يصل الزائر مع الأشياء المعروضة : إنها خلق حدث متناغم مع السياق الذي يتم فيه.
لقد كانت هذه التجارب دون أدنى شك مفيدة جدا بالنسبة لنا جميعا، بالنسبة للمؤسسة الراعية، ووكالة جهة الشرق، وجمعية شبكة الفن A-48 التي عملت في البرمجة الفنية، وخاصة بالنسبة للفنانين الذين استفادوا من واجهات عرض هامة. وقد عرفت هذه الأحداث بجهة الشرق وأوضحت حيويتها الفنية والثقافية.

اختيار وجدة عاصمة 2018 للثقافة العربية ليس اعتباطيا : فهو يؤكد الجهود المبذولة والمراحل المقطوعة.

حفل لموسيقى الطرب الغرناطي لوجدة من طرف مجموعة لسان الدين ابن الخطيب، تحت رئاسة الشيخ أحمد طنطاوي، وسط الكتب القديمة المستقدمة من جهة الشرق والأعمال التشكيلية لفنانينا

إن تطور نهجنا يؤدي إلى ترسخ عميق للفن والثقافة بجهتنا عبر تنمية اللقاءات بين الفنانين ومهنيي الفن.
نريد أيضا تشجيع الحوار مع فنانين آخرين بالعالم وإظهار قدرتنا للانفتاح على تجارب الآخرين. وبالضرورة، فالأمر سيمر عبر إقامات فنانين بجهة الشرق وعبر شراكات مع بنيات مهنية بالمغرب وبالخارج. وعلينا من أجل ذلك تنمية توأمات مع المدن التي تربطنا بها شراكات وتنمية ثقافة الشبكة الفنية، مراكز الفن، فنانين...).

علينا أيضا أن نسهر على الحياة المادية للفنانين ونوفر لهم فرصا لبيع أعمالهم. فالمبدع هو أيضا عامل، ومنتج لأشياء وليس مجرد شخص حالم. وسيتطلب تنمية سوق جهوية للفن بالضرورة انخراط القطاع الخاص وتنمية الطلبيات العمومية.

إن مهنيي الفن عليهم أن يلتزموا بمرافقة الفنانين والمعارض. وهكذا، فإن المعرض الجماعي لفناني جهة الشرق «المحطة النهائية للفن» الذي أقيم مؤخرا بفندق أطلس ترمينوس بوجدة كان نجاحا ينبغي تعميقه.

أخيرا، فإنه من غير الممكن أن ننمي مجالا ترابيا بدون تكوين الفنانين. ويمكننا في إطار القطب التكنولوجي لوجدة وإلى جانب مجمع المعرفة، أن نتصور قطبا للفن والثقافة : مدرسة للفنون الجميلة، متحف ومركز للفن...

لهذه الغاية، أقامت جمعية شبكة الفن A-48 اتصالات مع المعهد العالي للفنون الجميلة بتطوان ومع مدارس الفنون الجميلة لشمال فرنسا للتفكير في تعاون من أجل إحداث مدرسة للفنون الجميلة بجهة الشرق. هكذا، ستعيد وجدة تواصلها مع ماضيها حيث كانت أول مدينة مغربية تحتضن منذ 1915 مدرسة من هذا الصنف. وسوف يساهم هذا القطب الثقافي في دينامية المدينة ويجعل من وجدة عاصمة جهوية حقيقية للثقافة.

منظر عن معرض «Entre nous, Être nous l’Oriental Marocain»

إقامة تشاركية للفنانة ساندرا أنصيلو، تقنية مختلطة، مقاسات متغيرة، 2015، معهد العالم العربي

رقصة «هوية»
للفنانة هند بنعلي

أحمد فكير، رئيس جمعية زرياب للموسيقى الغرناطية
وفرانسواز أتلان التي تغني الفن الأندلسي، ينشطان الحدث

منظر عن معرض «Entre nous, Être nous l’Oriental Marocain»

«أصداء»، شعر لسامح درويش، إقامة،
تقنية مختلطة، 2015، التوضيب المجالي
من طرف عز الدين عبد الوهابي. معهد العالم العربي

«قوالب سكر، قوالب حب»،
إقامة ليزيد خرباش، قوالب سكر منحوتة،
مقاسات متغيرة، 2015، معهد العالم العربي

«أموت لكي تحيوا 2»، دليلة العلوي، حرير، رسم، بصمة،
رقائق وصباغة على الثوب، 2015، معهد العالم العربي

«فنان حلال»، ابراهيم البشيري، تخطيط حروف بإضاءة النيون،
مقاسات متغيرة، 2015، معهد العالم العربي

شـهـادة

أسماء الورياشي
الفنانة هي أيضا أستاذة للفنون التشكيلية بوجدة، وأعمالها تندرج في إطار التيه واللقاء.
مشاركتها في المعارض عديدة، بالمغرب وبأوروبا.

لقد شاركت في يناير 2015 في معرض«Entre nous, l'Oriental Marocain» في معهد العالم العربي بباريس في إطار معرض «Le Maroc Contemporain». وقد كان الاستقبال جيدا وتم تثمين أعمالي.

إن التعريف بفناني جهة الشرق بهذا الشكل للارتقاء بهذه الجهة هو اختيار مسؤول. وقد كانت أشغال المعرض متنوعة وتستحق التفكير. وقد اخترت المشاركة بإقامة سميتها «Silhouettes au féminin»، يضم سلسلة متتابعة من 16 خيالا نحيفا معلقة تذكر بنساء جهة الشرق مرتدية الحايك، وهو زي تقليدي أصبح نادرا اليوم. لقد شكل بالنسبة لي نوعا من الشهادة على ذاكرة ماضينا.

إن تمكين فناني جهة الشرق من العرض بالخارج، وخاصة بمعهد العالم العربي، هي وسيلة رائعة لإبراز إبداعاتنا والتعريف بالغنى الفني لجهتنا، التي ما زال مجهولا. ويوفر هذا النوع من المعارض للفنان تجربة جيدة خارج منطقته، ولقاءات ومواجهات مع فنانين آخرين ونوعا من التثمين. كما يساعد الجهة على الخروج من عزلتها الثقافية بالمغرب ويمنحها صورتها الحقيقية، الغنية بالثقافة الفنية.

مع ذلك، فالعديد من العوامل لم تسهل النتيجة الإيجابية لهذا النهج. وهذا المعرض يستحق أن يستمر أكثر من ثلاثة أيام. هناك أيضا نقص في التواصل لتحسيس جمهور عريض بهذه التظاهرة الكبيرة. وقد كان حريا إشراك المزيد من وسائل الإعلام الفرنسية للتعريف بالفنانين وبالحدث، مع تتبع وتقييم من طرف الصحافة المغربية.

من الضروري لهذا النوع من المعارض، التوفر على مكلف بالتواصل والصحافة، قبل وأثناء وبعد الحدث.

في الواقع، ليس هناك عدد كاف من الزوار لكي يتم تقدير الوقع بشكل مقبول. غير أن أولئك الذين استجابوا للدعوة تمكنوا من اكتشاف جهة غنية أيضا بفنانيها...

في قلب جهة الشرق، يجد الفنان نفسه في بحث مستمر عن تقييم لعمله الفني. فليس هناك اعتراف حقيقي بعملنا رغم الجهود المبذولة من طرف الجمعيات. والوقع ما زال محصورا في حدود مدينة وجدة.

إضافة إلى ذلك، فإن نقص المهتمين وجامعي الأعمال الفنية لا يسمح للفنان بمتابعة عمله الإبداعي.

كما أن ثقافتنا لا تسمح ببروز المرأة، بما فيها المرأة الفنانة. وهكذا، فمن بين 12 فنانا حضروا هذه التظاهرة، كنتُ المرأة الوحيدة الرسامة من جهة الشرق. حقا كانت هناك الشاعرة ربيعة مغيوس، ولكن مع ذلك فالأمر غير كاف. فالمرأة الفنانة بجهة الشرق غير معترف بها بقيمتها الحقيقية. أنا أدين بالاعتراف بي بقسط كبير إلى بحثي الشخصي عن أماكن للعرض سواء بالمغرب أو بالخارج. إن العمل الذي تقوم به جمعية شبكة الفن جيد، لكن ينبغي إشراك المزيد من الفنانين، والنساء منهم بالخصوص.

«خيالات بصيغة المؤنث»، إقامة لأسماء الورياشي، لوحات وصباغة، مقاسات متغيرة، 2015، معهد العالم العربي

وجـدة، ألـف تاريـخ وتـاريـخ

الأستاذ بدر مقري
أكاديمي وباحث
وأستاذ جامعي

يعتبر «العمق» أو «السماكة» التاريخية لوجدة مؤهلا رائعا للارتقاء بصورة جهة الشرق. وقد قدم الأستاذ ملفا وافيا مدعوما بمجموعة من التوضيحات والوثائق المصورة.

أنا متأكد بأن لكم فكرة مسبقة حول تاريخ مدينة وجدة، عاصمة جهة الشرق بالمغرب، لكن المقتطفات التي يسرني تقديمها أمامكم، سوف تقدم لكم دون شك حافزا واضحا لإعادة قراءة تاريخ هذه المدينة. فالهوية المرتبطة بالتاريخ لا تمنح بشكل نهائي، لأنها تبنى طيلة مسار تاريخي. لذا، فإني سأعيد ضبط تاريخ مدينة وجدة، عبر أنتولوجيا تاريخية وجغرافية تتجاوز وضع التاريخ في مواجهة مع الجغرافيا. وقد ارتكزت على خمسة محاور :

1- جيوستراتيجية وجدة ؛
2- أسماء الأماكن بالمدينة ؛
3- أركيولوجيا تاريخ المدينة ؛
4- التنوع والتعدد الثقافي لوجدة ؛
5- وجدة، بوصفها عبقرية زمنية ومكانية.

وكتوطئة، أقدم رحلة في تاريخ مدينة وجدة، في سياق أربع تساؤلات منطقية، علينا أن نطرحها على سبيل القياس :

- لماذا ؟
- ماذا ؟
- ما هو ؟
- كيف ؟

جيوستراتيجية وجدة

لماذا يعتبر معيار «حاضرة» أكثر موضوعية في وصف البنية العميقة لتاريخ وجدة ؟ لقد خَلُصت، عن طريق النبش في الأرشيف المغربي للقرن التاسع عشر بأنه، عندما نصف مدينة وجدة، فإن العبارة المستعملة هي غالبا «الحاضرة» وليس «المدينة». ولكي أكون أكثر دقة، علينا أن نفرق بين «المدينة» و«الحاضرة». لقد كانت عبارة «الحاضرة الوجدية» تستعمل في العديد من الأحيان. وعبارة «حاضرة» بالعربية تعني مدينة تلعب أدوارا أساسية على الأصعدة السياسية والسوسيواقتصادية والعسكرية والاقتصادية.
إضافة إلى ذلك، فقد وُصفت مدينة وجدة مرات عدة من طرف الماريشال الفرنسي هوبرت ليوطي (1854-1934) - الذي استولى عليها يوم الجمعة 9 مارس 1907 على الساعة العاشرة والنصف - كمدينة متعددة الأبعاد، لأنها كانت دوما جسرا بين الغرب والشرق، وبين الشمال والجنوب.

الأستاذ بدر مقري يقدم إحدى محاضراته أمام جمهور مهتم

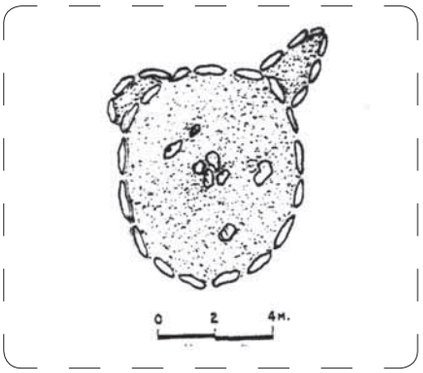

ركام بهوائي
(لـ. فوانو، 1910: 524، لوحة X, 10)

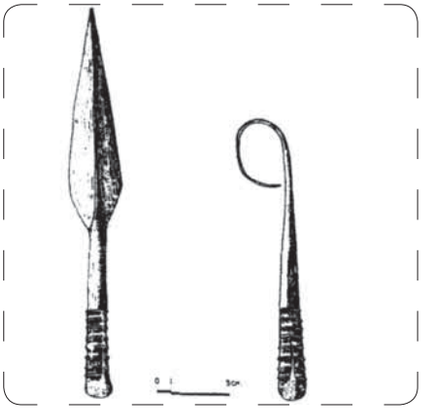

رأس رمح حديدي معقوف،
وجد في ركام بالقرب من وجدة
(لـ. فوانو، 1910 : 521، لوحة 11، 1-3)

وجدة :
منظر عام للمسجد

كما أن وجدة فضاء يجمع تقاطع تأثيرات البحر والجبل والصحراء. ويلخص مشروعٌ كبير، أطلقته فرنسا خلال الفترة الاستعمارية، جيوستراتيجية وجدة، بكل أشكالها : إنه مشروع البحر-النيجر. وهو يتعلق بخط سككي بطول 800 1 كيلومتر. كان من المقرر أن يربط هذا المشروع الضخم البحر الأبيض المتوسط بنهر النيجر، لتصبح مدينة وجدة قطبه الاقتصادي الأهم. هل يمكن أن نحلم حاليا بإحياء هذا المشروع، في إطار تقوية الإشعاع الإفريقي للمغرب ؟

أسماء الأماكن بوجدة

لقد لاحظت، في التصورات التاريخية الوصفية لوجدة، عبارة استعملها المؤرخ أبو القاسم الزياني (1734-1833). لقد أوضح أن الإسم القديم لوجدة، في سنة 794 ميلادية، كان «مدينة الحيرة». ولكن ماذا تعني «الحيرة» ؟ فالأمر لا علاقة له بالشك أو الارتباك. هذه العبارة في سياقها الإيكولوجي، تحمل قيمة مضافة لتاريخ وجدة، لأن وجدة طالما وصفت في المصادر التاريخية والجغرافية الأندلسية-المغربية القديمة كمدينة الأنهار والبحيرات والجداول والبساتين.

هناك إشكالية صغيرة أخرى علينا أن نقترح لها مقاربة موضوعية، هي اعتبار أن مؤسس مدينة وجدة هو القائد الأمازيغي لقرطبة، زيري بن عطية المغراوي.
في الواقع، زيري لم يؤسس وجدة في سنة 994 ميلادية، لكنه أعاد تأسيسها ليقيم فيها قاعدة دولته. هل لدينا إثباتات لتدعيم هذه الرواية ؟

نشير هنا كمثال إلى مسجد سيدي عقبة، الذي ينسب للفاتح عقبة بن نافع (622-683)، أي بالتالي ثلاثة قرون قبل زيري بن عطية المغراوي. كما أن هناك معطى آخر يتمثل في النموذج المعياري في بعض المصادر التاريخية القديمة المغربية، لحقبتي الموحدين (القرن الثاني عشر) والمرينيين (القرن الثالث عشر). وقد كان يستعمل لإسم وجدة تعبير «وجدات»، لأنه كانت هناك مدينتان : المدينة القديمة لوجدة والمدينة الجديدة. ولدينا أيضا أسماء تعني وجدة باللغة الأمازيغية، كـ «تيوجدا» أو«تيكوجدا» التي تعني الأعمدة، نظرا لوجود العديد من الأعمدة الرومانية وقتها بالمكان : فوجدة إذا أقدم من زيري بن عطية المغراوي (القرن العاشر الميلادي).

في الواقع، وجدة موقع بين مملكتين قديمتين بشمال إفريقيا : موريتانية الطنجيطانية (شمال المغرب والمغرب الأوسط وجزء من جهة الشرق المغربي) وموريتانيا القيصرية (الجزائر الوسطى والغربية حاليا). والركامات الترابية (قبور) ورؤوس الرماح الحديدية التي اكتشفت بوجدة في بداية القرن العشرين، هي مؤشرات عن التاريخ البعيد لوجدة.
ونضيف إلى ذلك معطى هام يلخص لما سيسمى «إشراقات وجدة».
سيقدم إبن الفكون (القرن الثاني عشر الهجري) في رحلته، من قسنطينة بالجزائر إلى مراكش، عبر وجدة، بهذا الشكل : «هِمْتُ وجْدا لما جئت وجدة».

لقد استعمل ابن الفكون كلمتين صوفيتين، في سياق المسارات المقدسة :

- كلمة «هيام»، المشتق من «همت» التي تعني «إقامة روحية» ؛
- كلمة «وجد» المشتقة من «الوجد»، التي ترجع تسمية وجدة لجذورها، وكلمة «الوجد» تعني الدفق المتبصر.

بالتالي، فإن كلمتي هيام ووجد تضيفان، بعلاقة مع وجدة، الدقة والوضع الصوفي والإلهام وأنفاس العرض والاستقبال.

أركيولوجية وجدة

لنعطي الأفضلية لصورة تلخص مجال الهيام بوجدة، صورة جميلة التقطتها عدسة المصور الفرنسي الكبير مرسولان فلاندران (1890-1957). نلاحظ في أقصى اليمين، صومعة المسجد المريني الذي يعود إلى القرن الثالث عشر وفي اليسار، صومعة مسجد سيدي عقبة، الذي ينسب للفاتح عقبة بن نافع الفهري (622-683).

نلاحظ أيضا الأسوار المبنية سنة 1891 في نهاية القرن التاسع عشر (في الصفحة التالية). كانت هناك أربعة أبواب إلى حدود سنة 1907، لم يبق منها سوى بابين : باب سيدي عبد الوهاب والباب الغربي. بالولوج من الباب الغربي، نجد على اليمين، الحمام التركي، لأن الأتراك احتلوا المدينة لمدة 75 سنة، ولم يتركوها إلا في سنة 1802. وفي العمق، نرى صومعة المسجد المريني التي تعود للقرن الثالث عشر والسقايات الثلاثة.

أنا أتحمل مسؤوليتي بالقول بأن الجامع الكبير لوجدة يعكس التأنق المعماري للقرن الثالث عشر وخلاصة الفنون المغربية للسلالات الحاكمة المرابطية والموحدية والمرينية.

أعلاه، صورة (من بطاقة بريدية) للمدينة القديمة لوجدة التقطها مارسلان فلاندران

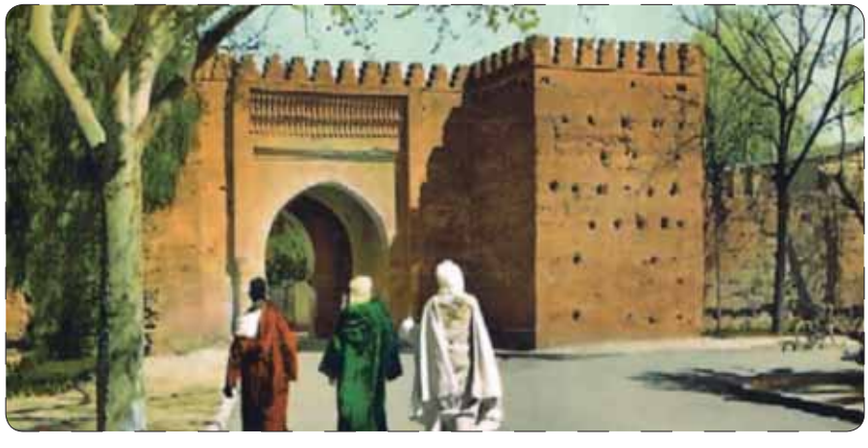

أنا أتحدث عن خلاصة الفن المغربي المرابطي، لأن المحراب يعود إلى الحقبة المرابطية (القرن 11)، والصومعة تعود إلى العصر الموحدي (القرن 12)، بينما الجامع والمدرسة، فيعودان للحقبة المرينية (القرن 13). من المهم الإشارة إلى الكاتالوج السياحي المقدم في ما يلي، الذي صدر بالرباط سنة 1952 والمخصص لمعمار القرون الوسطى لوجدة. وقد تم التركيز على معْلمين كبيرين مرينيين (1296) : صومعة الجامع الكبير وفناء المدرسة.

وجدة داخل الحداثة

تعتبر الحداثة أولى نتائج الصدمة الاستعمارية، انطلاقا من سنة 1930. وقد تجسدت عبر العديد من التمظهرات التي نجدها في الصفحات التالية.
وقد عرفت وجدة نوعا من الكونية، يؤكدها العدد الكبير من الجنسيات المقيمة بها سنة 1931 : فرنسيين، إسبانيين، إيطاليين، بلجيكيين، سويسريين، ألمانيين، روس، بولنديين، يونانيين، برتغاليين، رومانيين، بريطانيين، مجريين، تشيكوسلوفاكيين، نمساويين، كوبيين، فنزوليين، مصريين، لتوانيين، بلغاريين، أتراك، يوغسلافيين، برازيليين، أرمينيين، إرلنديين وأمريكيين. يمثل هذا التواجد طبعا قيمة مضافة لذاكرتنا الجماعية.

ساهم مهندسان معماريان فرنسيان كبيرين في إنشاء المدينة الجديدة لوجدة. إنهما أوكست كادي (1881-1956) وإدمون بريون (1885-1973) واللذان تعاونا في العديد من المشاريع.
(توجد صورهما في الصفحة التالية) .

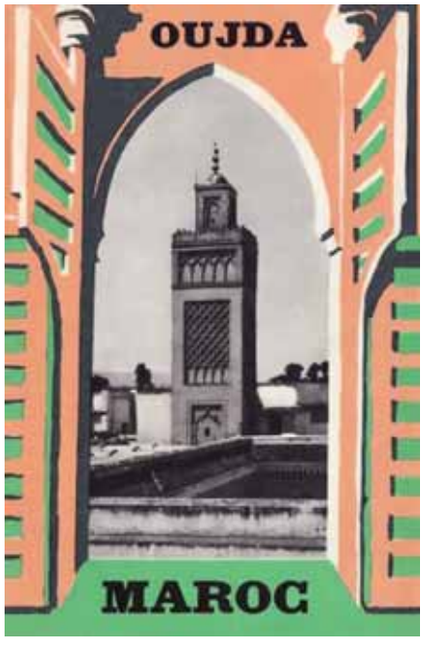

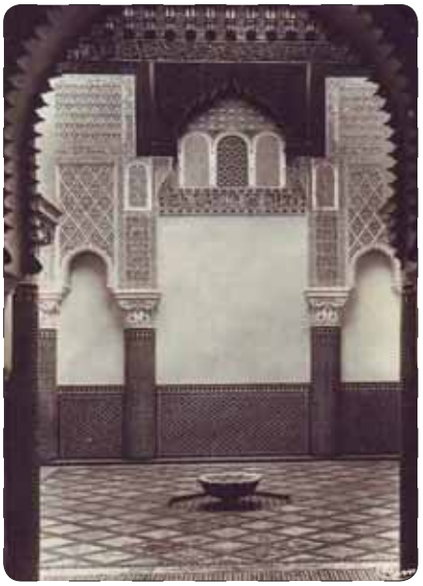

الصومعة (أعلاه، على اليمين)، ساحة المدرسة (في الأسفل، على اليمين) وبعض التفاصيل الزخرفية للجامع الكبير لوجدة

تشهد العديد من النماذج على هذه الحداثة منذ بداية القرن العشرين :

• ملصق سياحي لوجدة بتاريخ 1895، أنجزه الرسام الفرنسي ألكسندر لونوا (1863-1916). «وجدة عبر للا مغنية» (الصورة في الصفحة التالية) ، (فندق فيكاري بوجدة، غرف مؤثثة، مطعم برجوازي، أسعار معتدلة، خدمة العربات كل يوم، ربط مع عربة تلمسان

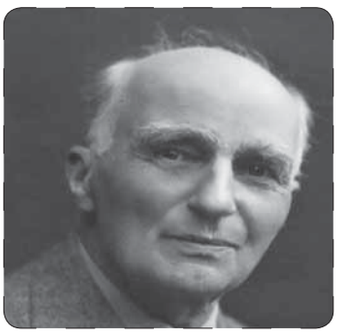

المهندسان المعماريان أوكيست كادي (في اليمين) وإدمون بريون (في اليسار)

(ثلاث نساء يحضرون فانتازيا في ديكور أخضر وارف مع باب سيدي عبد الوهاب في العمق) ؛

ملصق لرسام الأكواريل
ألكسندر لونوا

- محطة القطار الأولى بالمغرب، محطة وجدة، التي دشنت لفائدة السكك المدنية في أكتوبر 1911 (مقال نشره في 1920، صحفي كبير وقتها وهو بيار لوري عنونَه «وجدة، أفينيون مغربية») ؛
- وكالة بنك المغرب، التي أنجزها سنة 1926 أوكست كادي (1881-1956) وإدمون بريون (1885-1973)، وهما المهندسان المعماريان المذكوران سابقا ؛
- أروقة لا فاييت لباريس بوجدة، سنة 1952 (الصورة في الجهة المقابلة على اليمين في الوسط) ؛
- كتيب سياحي صدر سنة 1933 : «وجدة أقرب مدينة إلى فرنسا، مسار سريع ومريح وبتكلفة قليلة : البحر، الجبل والواحة» (انظر الغلاف في الأسفل) ؛

- خارطة المشروع الشهير «البحر - النيجر» لسنة 1940 (الصورة في الجهة المقابلة في الأسفل)، والذي كان من شأنه أن يجعل من وجدة قطبا اقتصاديا أساسيا على هذا الخط السككي المخصص لربط البحر الأبيض المتوسط بنهر النيجر على مسافة 1 800 كيلومتر.

هل من الممكن حاليا أن نحيي هذا المشروع، باعتبار التحولات الجيوستراتيجية للدول المغاربية ما بعد الاستعمار ؟

حاليا، لم يتبق من هذا المشروع سوى جزء وجدة–بوعرفة الذي يبلغ طوله 350 كيلومتر والذي مع الأسف لا يستغل بشكل منتظم لرحلات استكشافية أو للسياحة الإيكولوجية.

التنوع والتعدد الثقافي لوجدة

لنفحص المكونات الديمغرافية المميزة لوجدة بين سنتي 1830 و1970 :

- 1- تتكون الساكنة الأصلية من فروع ستة (ولاد عمران وأشقفان، أهل وجدة، ولاد الكادي، أهل جامل، ولاد عيسى، القصبة) ؛
- 2- الساكنة المسلمة من أصول جزائرية ؛
- 3- اليهود المغاربة. والجدير بالذكر أنه رغم التواجد القوي لليهود بوجدة في نهاية القرن التاسع عشر، لم تعرف وجدة أي ملاح (حي مخصص لليهود) وأن من بين علامات التسامح والانسجام للعيش المشترك للمجموعات المختلفة، نحتفظ بكون الفتيات اليهوديات كن يحملن غالبا أسماء عربية (مثل عويشة، سلطانة، ياقوتة، رقية، ميمونة، رحمة، الخ.) ؛
- 4- اليهود من أصل جزائري (يمنح مرسوم كرميو (Crémieux) لسنة 1870 اليهود من أصل جزائري الجنسية الفرنسية مباشرة، وهذا الصنف كان يعتبر بالتالي أوروبيا) ؛
- 5- السكان الأوروبيون، أو ما يماثلهم.

إن تفحص عمق التنوع والتعدد الثقافي لوجدة، يفرض دون شك، ذكر سيدي يحيى ببعديه الأسطوري (الزاوية) والايكولوجي (الواحة).

بناية بنك المغرب بوجدة

أروقة لا فاييت بباريس سنة 1952

خارطة مشروع البحر الأبيض المتوسط- النيجر (المسمى البحر- النيجر) سنة 1940

واحة سيدي يحيى

يعتبر سيدي يحيى مثالا للامتزاج الثقافي للتقاليد اليهودية والإسلامية. فهو، بالنسبة لليهود، يرمز إلى الحبر يحيى بن دوسا، الذي هاجر من قشتالة (شمال إسبانيا) إلى وجدة حوالي سنة 1391. أما بالنسبة للتقاليد الشفهية الشعبية المحلية، فإن سيدي يحيى كان أحد حواريي عيسى المسيح.

أشغال الخطاط سيدي محمد بن قاسم القندوسي (حوالي 1820)

ومن بين مظاهر التنوع والتعدد الثقافي لوجدة، الخطاط سيدي محمد بن قاسم القندوسي، الذي استقر بوجدة حوالي سنة 1820. لنُلحق أيضا بعض الوثائق لإبراز الحوار الذي كان قائما في نهاية القرن التاسع عشر بين وجدة وإقليم الساقية الحمراء المغربي. لقد قامت إحدى الشخصيات الفكرية المرموقة لوجدة وهو سيدي عبد الرحمان ميري، برحلة طويلة سنة 1894 قادته من وجدة إلى سمارة ليتوِّج سعيه الفكري والصوفي بلقاء الشيخ ماء العينين (1831-1910). وهذا المريد سوف يُنشأ في المدينة القديمة لوجدة، فرعا لزاوية سيده (انظر الوثائق المرافقة المقابلة، الصفحة اليمنى).

كما تمكن صور أخرى (الصفحة المقابلة) من إبراز أوجه أخرى للتنوع والتعدد الثقافي لوجدة :

- عقد نكاح يهودي محرر بوجدة، سنة 1905 ؛
- الحايك الشهير (صورة تعود إلى سنة 1952) ؛
- قماش الموسلين ليهود وجدة في سنة 1940 (ثوب أصله من مدينة الموصل، شمالي العراق) ؛
- ثلاث ذكريات عن وجدة لسنتي 1909 و1930، أو جهة الشرق كما خلقها الغرب (انظر صور الصفحة التالية).

وجدة، كعبقرية للزمان والمكان

بالتأكيد، لا أستعمل كلمة «عبقرية» بمعناها الجيوبيولوجي أو الطاقي الحيوي. فالمعنى المنشود في هذا السياق هو اللامرئي حينما يصبح مرئيا. والمادة الأولى التصويرية المرجعية في المقاربة الموضوعية لهذه العبقرية، هي صور فوتوغرافية تكشف النقاب عن الموروث الموسيقي لوجدة.

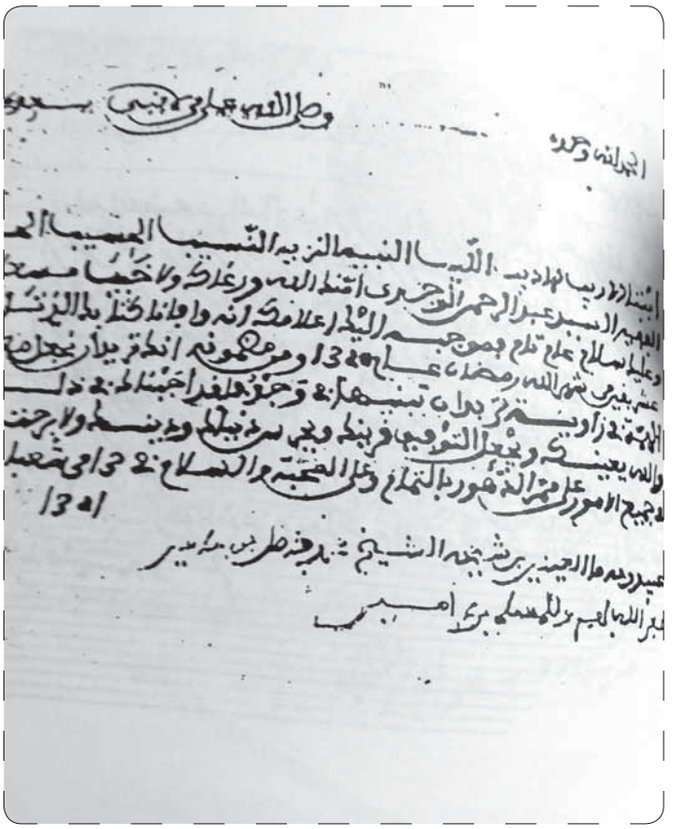

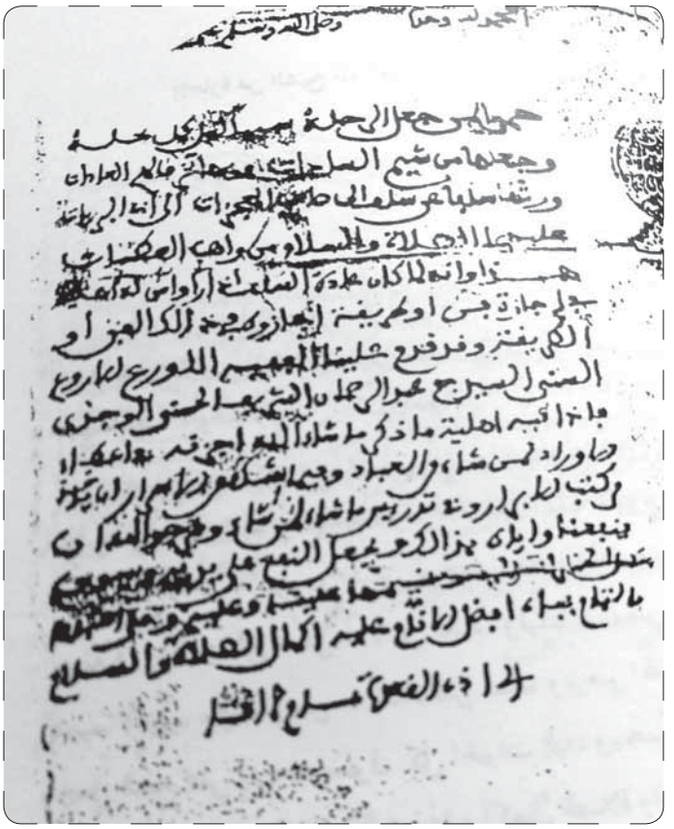

إن التراث الموسيقي لوجدة أندلسي بحث. وقد أكدت دراسات اثنوموسيقية (انظر مجلة Oriental.ma، عدد 19 سنة 2018، نُشرت من طرف وكالة جهة الشرق) صحة المعطيات التالية :

- وجود علاقات ثقافية بين وجدة وبعض المدن الأندلسية، كطليطلة، وبلنسية ومرسية وسرقسطة وغرناطة وإشبيلية ؛
- كانت هذه العلاقات واضحة بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ؛

ثلاث بطاقات تذكارية عن وجدة

الجمعية الموسيقية الأندلسية سنة 1934

• النزوح الكثيف لليهود من إشبيلية إلى دبدو ووجدة سنة 1391 ؛
• أبو عبد الله، آخر الأمراء المسلمين لغرناطة، نزل بعد سقوط مملكته سنة 1492، بميناء غيساسة بإقليم الناظور.

تم اعتماد هذا التراث الموسيقي، سنة 1921، بإنشاء الجمعية الموسيقية الأندلسية. وقد كانت هذه الجمعية أول جمعية على المستوى الوطني، قبل جمعيات فاس والرباط. كما أن عناصر أخرى تؤكد تموقع وجدة كعبقرية زمان ومكان :

• حضور المؤرخ جرمان عياش (1915 بالسعيدية، 1990 بمدينة نيس الفرنسية)، أحد رموز ثانوية الذكور لوجدة ؛

• إبن عمه، المؤرخ ألبير عياش (1994-1905) الذي كان أيضا إحدى الشخصيات المرموقة في ثانوية الذكور لوجدة ؛
• الرائدين الإثنين لعائلة بايري (الصورة المقابلة في الصفحة التالية)، الطبيب بيير والكاتب جوزيف (1892-1968) الحاصل على جائزة الكونكور سنة 1935 ؛

عازف يهودي وجدي
من أصول جزائرية

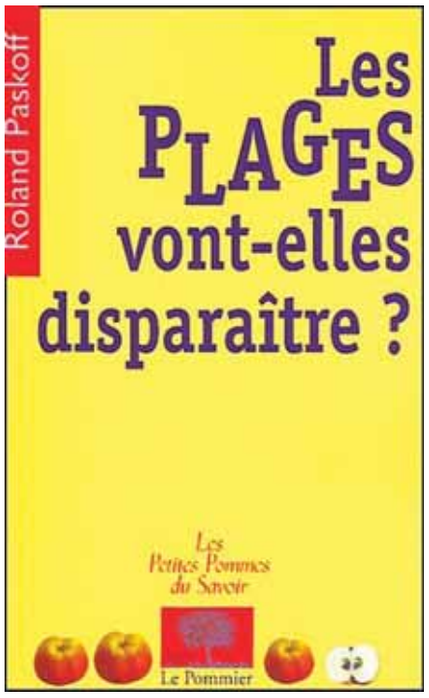

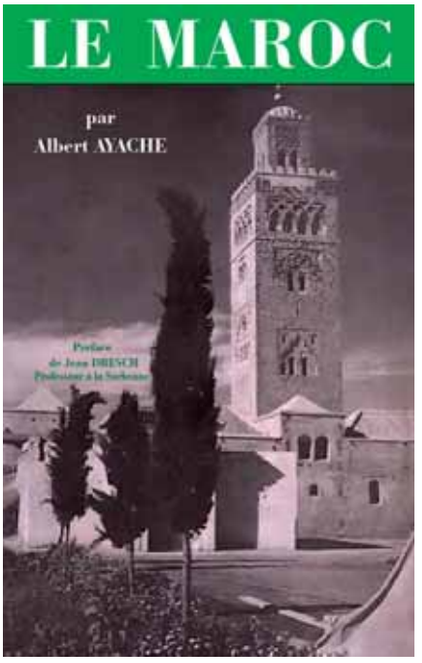

- الجغرافي الكبير، المتخصص في الساحل، رولان باسكوف (1933-2005)، أحد الشخصيات الرمز لثانوية الذكور لوجدة ؛
- الكاتب يونس نكروف، الذي كان معلما في البداية بالمدرسة الفرنسية المغربية لوجدة، ثم أصبح دبلوماسيا ؛
- نلسون مانديلا (1918-2013)، حينها في المنفى، استقر بوجدة من مارس إلى يونيو 1962.

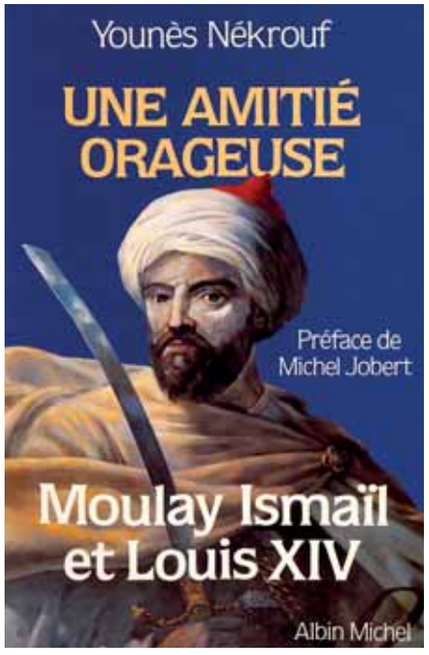

- أنطوان دو سان إكزوبيري (1900-1944) الذي أقام بوجدة في ماي 1943، وبالضبط في الغرفة رقم 8 من فندق سيمون، والتي ستذكر بعمل روائي كبير ؛

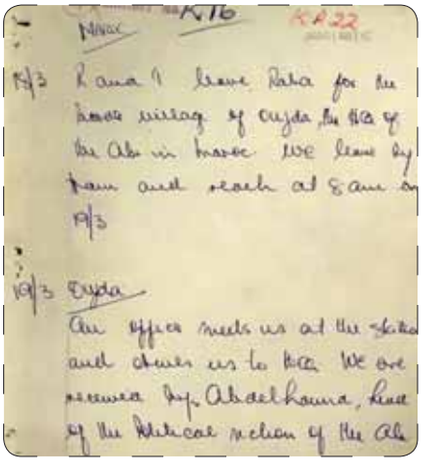

يوميات نلسون مانديلا بخط يده
خلال مقامه بوجدة

في الصف الأول، من اليسار إلى اليمين : محمد بوضياف (1919-1992)، رابح بطاط (1925-2000)، نلسون مانديلا (1918-2013)، وهو يضع نظارات سوداء، أحمد بن بلة (1916-2012)، أملكار كابرال (1924-1973)، هواري بومدين (1932-1978)، بنيوسف بن خدة (1920-2003). وفي الصف الخلفي : ممثلَيْن للقوات المسلحة الملكية

تضم الصورة التاريخية أعلاه مجموعة من الشخصيات التي ستلعب دورا أساسيا في تطور بلادها. لقد التقطت في 18 مارس 1962 بمعسكر العربي بلمهيدي الذي كان يوجد بحي كولوش بوجدة ويتبع للقيادة العليا لجيش التحرير الجزائري (1954-1962).
ويسمح جرد الصورة وكل العناصر التي تكونها من تحديد الشخصيات، ومن رؤية الطريقة التي التقطت بها الصورة وكيف وضعت الشخصيات. وبفضل هذه التفاصيل، يمكن أن نتعرف على الأجواء العامة لهذا الحدث ومن فهم الخطاب المراد تمريره.

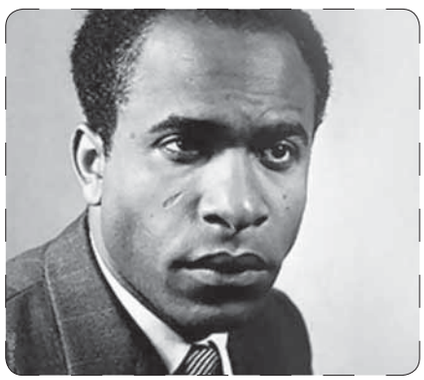

فرانتز فانون (1925-1961)، وهو طبيب نفساني وكاتب فرنسي، كان ضيفا لقيادة جيش التحرير الوطني الجزائري بمعسكر العربي بلمهيدي لبضعة أشهر، سنة 1960. لقد كان يشكو من لوكيميا. وقد كانت وجدة أحد الفضاءات التي عمق فيها فرانتز فانون مشروعه العالم ثالثي.

الصورة التالية لناتالي دولون، واسمها الحقيقي فرانسين كانوفاس، ممثلة ومخرجة فرنسية.

وهي الزوجة الوحيدة للممثل آلان دولون. لقد ازدادت بحي الليمون بوجدة، في فاتح غشت 1941.

الصورة التالية الأخرى (في الأسفل) فهي لغلاف كتاب محيي الدين المشرفي، المزداد بوجدة سنة 1914، والمتوفى سنة 2003. لقد انتهى من طبع كتابه حول العصور القديمة لشمال إفريقيا، بوجدة، في ماي 1949.

تدل المجموعة التاريخية للتراث الجهوي المقدمة هنا على أهمية إشعاع سياحي جديد لوجدة. فالسياحة هي حامل جيد للتنمية البشرية المستدامة. ومن أجل أن يتجسد، ويكون ملموسا وله معنى، ينبغي أن يصبح «العلم» «ثقافة».

نشر الإبداع من أجل تجاوز الركود

محمد العبدلاوي
رئيس المجلس الإقليمي لجرادة

خلقت جرادة مدينة منجمية. وهي الآن تحيى مجددا كمدينة ثقافية. لقد شحت الموارد المالية، لكن الموارد البشرية حاضرة.

في بداية القرن العشرين، كانت جرادة مجرد قرية صغيرة في قلب مجال قروي شاسع. ويوجد موقعها في أقصى شمال النجود العليا. وكانت أنشطتها تتوزع بين الفلاحة واستغلال الغابات والرعي. وقد طور سكانها صناعتهم التقليدية للاستجابة لحاجياتهم، ولم تكن تعرف أي نشاط ثقافي بالمعنى المعروف حاليا. في الحالات الاستثنائية، فإن الناس كانوا يتوجهون نحو وجدة أو فاس مغادرين هذه المنطقة الجبلية (ارتفاع يفوق من 500 1 متر) المرتبطة بسلسلة كفايت ليجوبوا المجالات المنبسطة الملائمة أكثر للتنقل. لقد كانت جرادة إذا موقعا منعزلا، يعيش ظروف عيش صعبة، في محيط يوفر القليل من التجهيزات والبنيات والخدمات.

المدينة تولد من المنجم

جرت الأمور تدريجيا لكن بسرعة انطلاقا من 1927، السنة التي اكتشفت فيها الترسبات الفحمية الأولى. واستمر الاستكشاف وتقرر الاستغلال. ومنذ 1936، دشن جلالة الملك محمد الخامس أول قرية منجمية.

جلبت فرص الشغل بالمنجم مهاجرين من مناطق أخرى من المملكة وإحداث أنشطة مرتبطة بنسق الحياة الجديدة الذي بدأ يستقر شيئا فشيئا : أنشطة تجارية وخدمات، وأيضا أنشطة ترفيهية وثقافية، وخاصة الشعبية منها، والتي هي ضرورية للتوازن بالنسبة للساكنة الحضرية الجديدة، وخاصة المنجميين وعائلاتهم.

في سنة 1933، انطلق بناء حي الأطر والتقنيين، وتم الانتهاء من بناء حي المنجميين سنة 1939. وفي سنة 1949، انتقل الاستخراج إلى بئر حاسي بلال. وقد كان النمو قويا ونمو الساكنة كان أكثر من عرض السكن.

تدخلت الدولة في مجال السكن في نهاية الستينات واستمرت في التدخل إلى غاية سنة 1996. وقد شيدت شركة مفاحم المغرب أيضا قرية جديدة تتكون من 000 1 سكن ابتداء من 1970.

في 1968، بين الفترتين، تم تدشين المحطة الحرارية، لتمنح أول تنويع كبير لنشاط منجم جرادة مما أدى إلى توافد جديد للسكان إلى جرادة بقدوم مستخدمي المكتب الوطني للكهرباء وعائلاتهم.

1936-1996 : دورة النمو الحضري والتنمية تكون قد استمرت 60 سنة. وقد أدى هذا الواقع الجديد إلى إحداث إقليم جرادة سنة 1994.

إلا أنه ابتداء من 1996، بدأت تبرز مخاوف حول مستقبل جرادة مع تساؤلات حول الاحتياطي القابل للاستغلال وانهيار الأسعار العالمية للفحم الحجري. وأصبح إقفال المنجم حتميا وبدأ تدريجيا بين 1998 و2001. وقد تأثر من هذا الإقفال 000 25 شخص يمثلون مستخدمي المنجم والوظائف غير المباشرة.

« 1936-1996 : دورة النمو الحضري والتنمية استمرت 60 سنة. »

احتل إقليم جرادة مكانة هامة في الحياة الثقافية للمملكة طيلة زهاء ربع قرن.

مقتطف من البروتوكول المبرم بين المجلس الإقليمي لجرادة، المملكة المغربية، وجماعة سان-جوس-تين-نود، مملكة بلجيكا

«رئيس المجلس الإقليمي لجرادة، المملكة المغربية، ورئيس جماعة سان-جوس-تان-نود، مملكة بلجيكا، يعلنان رغبتهما في المحافظة على الروابط الدائمة من أجل الحوار، وتبادل التجارب وتفعيل وتثمين كل العمليات المشتركة في الميادين التي تدخل في اختصاصاتهم».

جرادة، مدينة ثقافية ؟

الجواب هو نعم بلا تردد. فهذه المدينة الفطر، التي أصبحت مدينة ذات النشاط الواحد أو تقريبا، كانت قد طورت أيضا في وقت قياسي نشاطا ثقافيا خاصا بها، وفريدا من نوعه بالمغرب، وبالضبط بفضل المنجم والمنظومة الموضوعة لاستغلالها. طبعا، ستتطور الحياة الثقافية خاصة بعد تلبية الحاجيات المستعجلة مع قدوم موجات جديدة من الوافدين. وهكذا، وفي أواسط الخمسينات، لم يكن عدد الحوانيت بالمدينة يتعدى الخمسين ولم تكن توجد أية بنية اجتماعية أو ثقافية. في الواقع، ومنذ الأربعينات، وضعت مصلحة للمساعدة الاجتماعية حلولا للتعلم بالموازاة مع النظام المدرسي، ولكن أيضا تدخلات صحية. وبعد إعادة هيكلتها سنة 1978، ستقدم بالإضافة إلى ذلك تشكيلة واسعة من الخدمات الاجتماعية والأنشطة السوسيو-ثقافية، في وقت فتح فيه المركز الثقافي لجرادة أبوابه بنشاطات متعددة، مثل :

- مكتبة، تضم 5 000 مؤلفا مع قاعة مطالعة ؛
- حصص في التربية الموسيقية (3 أساتذة لتعليم الصولفيج والعزف على مختلف الآلات) ؛
- حصص لتعليم مبادئ المسرح ؛
- دروس في الفنون التشكيلية ؛
- مكتبة سينمائية ذات البرمجة المتنوعة جدا.

جرادة، قطب للعمل والاستقطاب الثقافي

بالمركز الثقافي، كان التلاميذ المواظبون والمتميزون في مختلف المجالات، يحصلون على منح شهرية. وقد كانت تمنح جوائز سنوية هامة لأفضل التلاميذ في مختلف المواد.

تكونت جراء ذلك تدريجيا مجموعة من الموارد البشرية الفنية المتحفزة والقيمة، لتشكل القاعدة لحياة ثقافية مبدعة ومنتجة، وخاصة عن طريق بروزها في التظاهرات العامة.
كان المركز الثقافي، الذي أنجز ونظم بين 1979 و1982، ينشط المدينة عبر أمسيات موسيقية ومسرحية ومسابقات ثقافية ومؤتمرات وحفلات مختلفة... وقد كانت الفرقة المسرحية المهمة لجرادة تقدم عروضا بجرادة ولكن أيضا في أقاليم أخرى بالمملكة. كما ساهم المركز الثقافي في إحداث وتنمية مهرجان موسيقى الغرناطي ومهرجان الفنون الشعبية.
في الواقع، احتل إقليم جرادة مكانة هامة في الحياة الثقافية للمملكة طيلة زهاء ربع قرن. وتطورت بالتالي صورتها بشكل إيجابي. وبالطبع، انخفضت الأنشطة الثقافية بسرعة إثر تراجع ثم إقفال المنجم. إلا أن الفنانين المنحدرين من إقليم جرادة هم كثر اليوم، وقد استفادوا من البيئة الإبداعية والثقافية وغالبا من الموارد المتوفرة للأنشطة الثقافية.
ومن بين هؤلاء الفنانين :

- مواليد مدينة جرادة، كعلي أدرعي (المولود سنة 1953)، نور الدين بومعزة (1977)، جواد مباركي (1970) وادريس الرحاوي (1977) ؛
- فنانين منحدرين من قرى تابعة للإقليم، كمصطفى الرملي (1968)، عبد الكريم الصغيري (1961)، من مواليد تويسيت، أو ابراهيم الباشري، القادم من سيدي بوبكر.

هؤلاء الفنانين التشكيليين هم الأكثر شهرة ولهم مرجعية، ولكن اللائحة ليست شاملة. والكل يفهم أن مجموعة الفنانين هامة بالمقارنة مع الحجم النسبي للساكنة المحلية. فهناك إذا «ظاهرة تاريخية» تفسر التمثيل المرتفع للإقليم في الساحة الثقافية التشكيلية للمغرب.

تم تفعيل هذه الرافعة في إطار توأمة جماعة سان-جوس البلجيكية، كإطار جيد لاهتمام متبادل.

تاريخ شراكة دولية للجماعات

منذ 2011، تقود جماعة سان-جوس مشروعا للتعاون اللامركزي مع جماعتين مغربيتين من إقليم جرادة بجهة الشرق هما الجماعة القروية لبني مطهر والجماعة الحضرية لعين بني مطهر. وتعبأ العلاقات المقامة ومشاريع التعاون المحققة، جمعيات المجلس الاستشاري شمال/جنوب لسان-جوس ومصلحة العلاقات الدولية لهذه الجماعة البلجيكية.

تكمن الغاية من هذا التعاون الجماعي في تعزيز الجماعات المغربية في سياساتها للتنمية البشرية، مع التركيز على العمل الاجتماعي والبعد الثقافي. وسيتم تنظيم تظاهرات في إقليم جرادة وجماعة سان-جوس لترجمة اتفاقيات الشراكة المبرمة بيننا. وهذه الشراكة تستند على الإرادة المشتركة وعزم الطرفين في تعزيز تعاونهما بالتوقيع على بروتوكول.

يرمي هذا البروتوكول إلى التفاهم والصداقة وتقاسم المهارات من أجل تعزيز الانفتاح الثقافي وكذا المقاربة الإنسانية والمواطنة بين المجتمعات المدنية لجرادة ومثيلاتها البلجيكية. ويواصل مجلس إقليم جرادة إدراج عمله ضمن سياسة تضامنية تركز على التماسك الاجتماعي مع الجماعات الشريكة. وهكذا، تخلق 20 جمعية تقريبا من الإقليم يوميا جسورا بين القارات. وتعزيز التعاون بين جماعة سان-جوس والمجلس الإقليمي لجرادة عبر إبرام بروتوكول اتفاق، يؤكد إرادة التعاون في إطار روح المساواة والتبادل، من أجل تنمية الصلات الودية بين سكانها وكذا التنمية المتبادلة في مجال العمل الاجتماعي والرياضة والثقافة والبيئة والحركية.

الرئيس العبدلاوي يزور معرض الفنانين التشكيليين لجرادة في مختلف الفضاءات الخارجية لجماعة سان-جوس

تظاهرة «Saint-Josse, Place pour Tous»، والتي نظمت من 11 إلى 16 أكتوبر 2016، كانت أسبوعا من الأنشطة الفنية والثقافية الهامة التي رفعت عاليا صورة المغرب وجهة الشرق كـ «ضيف شرف»، مع كل ثرواتها واختلافها، خلال تظاهرات صداقة وتضامن.

بغناه وتلونه وتنوعه، شكلت تظاهرة «Saint-Josse, Place pour Tous»، تركيزا على جهتنا، وتنوعها الفني وثقافتها وتاريخها وتراثها المتنوع.

بسان-جوس، وبمناسبة الحدث المذكور، كانت سان-جوس والجماعتين التابعتين لجهة الشرق حاضرة بأروقة للإعلام، وللإنتاجات الفنية والمنتجات المجالية المستقدمة خصيصا من المغرب.

شكر كبير للمشاركين وشكر أيضا وبالخصوص للجمهور العديد الذي جاء للقائنا.

1- المصدر :
L'Oriental Marocain, désirs d'artistes et passions de créateurs 2015، 216 صفحة، منشورات وكالة جهة الشرق

« يواصل مجلس إقليم جرادة إدراج عمله في إطار سياسة للتضامن مع الجماعتين الشريكتين. »

متحف بجرادة،
من أجل ثقافة أصيلة وذات أبعاد متعددة

إن بروز ثقافة محلية، مبنية من العدم تقريبا، هي ظاهرة غريبة. إنها ثقافة محلية لكنها مكونة من إسهامات قادمة من عدة جهات مغربية. وهي ثقافة شعبية لأنها نشأت في وسط عمالي. ونامية لأنها تندرج ضمن البحث عن هوية خاصة وجديدة تستفيد من موارد مادية وبشرية تحملها صناعة قوية. مدينة جرادة، ثمرة صناعة وحيدة وحاملة لقيم اجتماعية، وانعكاس لتطلعات بشرية كادحة جاءت للبحث عن مستقبل وحداثة، صادفت الكثير من التأثيرات لتخترع لنفسها ثقافة خاصة بها. وقد حصل كل شيء بسرعة. ففي الوقت الذي قضى آخرون قرونا، بنت جرادة نموذجها في بضعة عقود... وثقافَتَها المتميزة في نفس الوقت. وكإنتاج ثقافي، فإن جرادة إذا فريدة في المغرب، غير مرتقبة خارج سياق الاستغلال المنجمي، المغربي والعالمي في نفس الوقت، والحاضرة بشكل استثنائي في العديد من القطاعات الفنية والمشعة ليس فقط على جهة الشرق بل عبر التراب الوطني. وهذه الثقافة تحمل ذاكرة القرن الماضي وتعمل على الاستمرار في الحياة بل لتتجاوز نفسها منذ ذلك الحين. جرادة ليست فقط تراثا ماديا ولامايا، لكنها مكان لذاكرة حية.

في هذا الاتجاه، تمت دراسة مشروع واسع لإعادة الاعتبار للمنشئات الصناعية المهملة من طرف وكالة جهة الشرق. ويكون قلبُ هذا المشروع متحف للمدينة، مندمج، يغطي مجموع المناطق المنجمية. وهذا المتحف سيكون متحف المنجم طبعا، ولكن أيضا متحفا للثقافة العمالية ولإنتاجاتها الثقافية. وفي تقرير أعد لتقديم هذا المشروع، نقرأ ما يلي :

«لقد كانت فكرة خلق منجم رائجة سنوات عدة قبل إقفال المنجم (1998-2001)، الذي كان يأوي نواة معرض يتعلق بالمنجم والمنجمي. إن إعادة الاعتبار والمحافظة على الموقع بتزويده بمشروع ثقافي جديد قادر على إعطاء حيوية للمدينة وتنمية نشاط ثقافي واقتصادي خدماتي، تندرج في إطار التنمية المستدامة، لم تظهر إلا تبعا لسياق وطني خاص تطبعه الإرادة الواضحة والدقيقة التي سطرها صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، في خطابه بتاريخ 18 مارس 2003»[1].

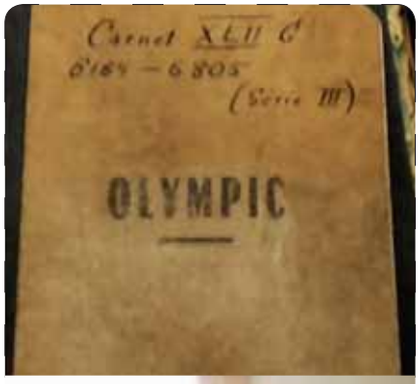

بعض قطع
مجموعة المتحف المقبل

بعد مهمة أولى للخبراء في سنة 2009، عهدت دراسة معمقة لفريق دولي، انتهت في غشت 2009. وقد شاركت في هذه الدراسة وزارة الطاقة والمعادن والماء والبيئة، ووزارة الثقافة وإقليم جرادة والمجلس الإقليمي. كان الهدف خلق بنية ثقافية قادرة على إعادة الحيوية للمدينة وتنميتها السوسيو اقتصادية والثقافية، كما ينص على ذلك دفتر التحملات. وقد كان الأمر يتعلق بثروات يتوجب تخصيبها وبوظائف ينبغي إحداثها حول جاذبية متجددة بواسطة أداة قوية.

قد كان بوسع هذا المتحف تقييم المجموعات المرتبطة بالنشاط المنجمي وأيضا الإنتاجات الثقافية التي سجلتها السنوات الستين لتنمية هذا الموقع الاستثنائي.

كان من شأن إنجازه أن يساهم بقوة في كسر الأقول وفي إعطاء أفق وطموح للمدينة. توفر الثقافة ورقة رابحة كبيرة كونها تنتج كبرياء الانتماء والمطالبة بهوية محلية. وتعتبر بجرادة، هذه الأبعاد ضرورية.

صورة افتراضية للمتحف المستقبلي للمنجم

1- في «جرادة -حاسي بلال، منتزه متحفي من أجل الذاكرة الصناعية والمنجمية للمملكة»، ص. 19، عدد خارج السلسلة من مجلة ، Oriental.ma 76 صفحة، من منشورات وكالة الجهة الشرقية، سنة 2015.

استقبال جماعة سان-جوس

لبروكسيل (بلجيكا)

إمير كير
نائب وعمدة
جماعة سان-جوس-تين-نود

إيريك جاسان
مستشار مكلف بالعلاقات الدولية
جماعة سان-جوس-تين-نود

كانت سان-جوس دوما أرض استقبال وتنوع. وما فتئت جماعتنا تسعى لكي تكون ملتقى ثقافي يخلق ويعيد تفسير قيم مثل الانفتاح والتسامح من أجل فهم متبادل بين كل الثقافات، وحتى لحوار بين الحضارات. نحن نعلم أهمية الثقة والاعتراف المتبادلين في بناء العيش المشترك. ولهذه الغاية، فإننا نعمل يوميا للتعريف وتثمين كل واحد منا باختلافه سواء على المستوى المحلي أو على صعيد علاقاته الدولية.

إن مسار الفنانين هذا، الذي أنشأه بروتوكول التعاون مع إقليم جرادة بجهة الشرق المغربي، يشهد بجلاء على هذا الهدف الذي نسعى إليه بشغف. يتعلق الأمر بمسار حقيقي للتبادل. فهؤلاء المواطنون القادمون من جهة أخرى يحملون، لمجتمع اليوم، العديد من رسائل السلام والانفتاح والاحترام عبر تعبيراتهم الفنية ويطلعوننا بالتالي على النبض الإبداعي لجهتهم.

عبر هذه المبادرة، فإن سان-جوس استغلت بدورها المناسبة للحديث عن نفسها، لأن كل هذه الأعمال احتلت بشكل منسجم مكانا في سبعة مواقع من الموروث الثقافي الجماعي، وهي فضاءات ورثناها عن الأجيال السابقة وسنخلفها للأجيال القادمة.

عرض بعض الفنانين في الهواء الطلق، تحت أنظار الجميع، لأننا كنا دائما نطمح في خلق اللقاء بين جمهور نريده أن يكون الأوسع قدر الإمكان والممارسة الفنية خارج الأماكن التقليدية. نحن نسعى بالفعل، بالنظر إلى التنوع الكبير لسكان جماعتنا والطابع الهش لظروف العيش للعديد منهم، إلى وضع الثقافة في متناول الجميع. يمكننا القول بأن هذا المشروع يجعلنا نتحدى قدر الإمكان كل أشكال الحدود.

وهنا يوجد طريق المستقبل.

تعتبر بلدية سان-جوس منذ الثلاثينات أرض استقبال بالنسبة للاجئين الإسبانيين الهاربين مثلا من النظام الفاشي لفرانكو أو أيضا نظام موسوليني بالنسبة لأصدقائنا الإيطاليين. وبعد الحرب العالمية الثانية، نمت هجرات اقتصادية هروبا من البؤس مست الإيطاليين ولكن أيضا، في الستينات، مغاربة ثم أتراكا.

مثلت سان-جوس حاضنة لأمواج الهجرة هذه جاعلة من جماعتنا ملتقى للاختلافات الثقافية وبالخصوص واحة للتسامح والسلام.

يعتبر مهرجان «Saint-Josse, Place pour Tous» نتيجة لهذا المزيج الذي أردنا أن نبرزه عبر التعبير الفني الحيوي والقوي للبلدان المدعوة.

بالفعل، نتوفر على اتفاقية للتعاون اللامركزي مع بلديتين لإقليم جرادة : عين بني مطهر وبني مطهر، منذ 2011. لقد نسجنا روابط متينة مع إقليم جرادة ولكن أيضا مع جهة الشرق. وقد دفعتنا كل هذه العناصر إلى تثمين علاقة الصداقة مع الشعب المغربي.

مثل ذلك شرفا لبلديتنا بأن تتمكن من وضع مواقعنا الاستثنائية، مثل متحف شارليي وميدان أرمان ستورس والمكتبة الجماعية ودار جماعة سان-جوس أو أكاديمية الفنون الجميلة، تحت تصرف الفنانين المغاربة.

يتمثل طموح المشروع في ربط العلاقة بين مواطنينا والفنانين المغاربة من أجل أن يتمكنوا من كشف مدى غنى ثقافتهم. لقد شكلت لحظة متميزة للتبادل حيث انمحت الاختلافات لصالح القيم المشتركة كالأخوة والحرية.

اليوم، فإن هذا الإنجاز يشهد على هذه اللحظة القوية التي عشناها خلال هذا المهرجان. وأريد أن أعبر عن شكري لكل من شارك من قريب أو بعيد في إعداد هذا الحدث الكبير.

المواقع الهامة لسان-جوس التي تمت تسخيرها لفائدة فناني جهة الشرق

ميدان أرمان ستور

دار الجماعة

كنيسة جيسي التي أصبحت قاعة للعرض

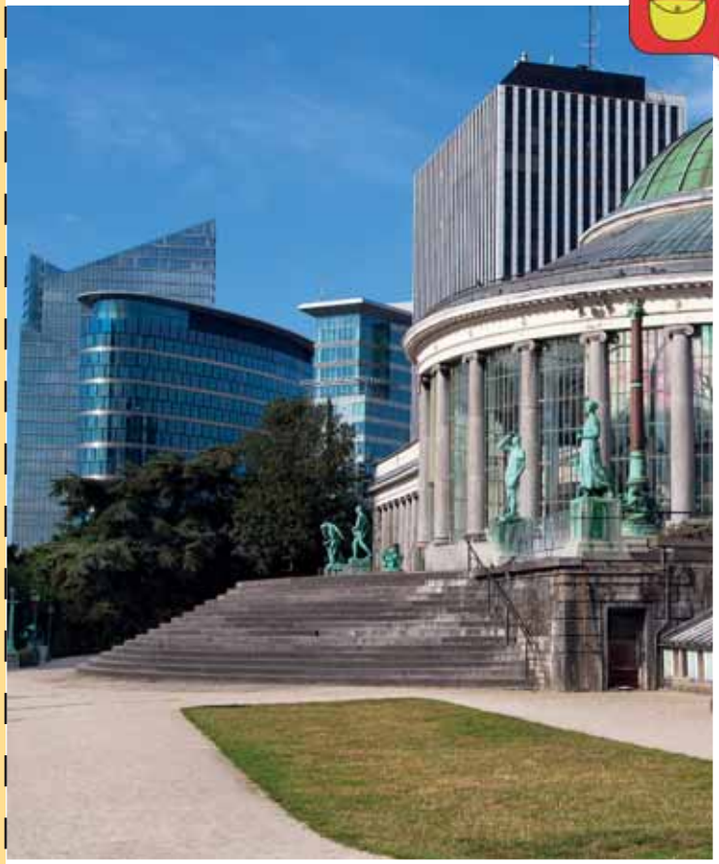

حديقة النباتات

الفن
من أجل مواجهة
الخطوب

روني ديميسنير
مدير
مكتبة جماعة
سان-جوس-تين-نود

خطاب الاستقبال هذا للفنان الكاتب عبد الرحمان زناتي هو أيضا خطاب مؤلف وناقد. فالتكريم إذا يتم في وسط ثقافي وقد كان تكريما حارا.

هل يمكن للحظ أن ينقذ حياة ؟ عن هذا السؤال المحوري الذي يعبُر السيرة الذاتية التي يقترحها عبد الرحمان زناتي، فالمؤلف يجيب بالتأكيد: نعم !
إنه يعتبر المثال الحي، حيث نشأ في أحضان الفقر المدقع، في شمال-شرق المغرب، في جوف هذا الشرق الذي يجهله الكثير، في المنطقة الحدودية للجزائر.
هذا الكتاب ليس مجرد شهادة، فهو يروي تاريخ شعب وجهته أثناء الحماية الفرنسية بالخصوص. إنه كتاب يشع بالإنسانية وذي العنوان الرائع، وهذه الندبة التي تحملها الذاكرة بوضوح، والتي استطاع الكاتب أن يخفف أثرها بفضل إرادته الجامحة للابتعاد عن وضعيته، بواسطة التعليم والفضول النهم اتجاه الآخر الذي فهم أهميته باكرا.
كتاب أمل وحياة، وإيمان أيضا بقوة الفن الذي يسمو بالوجود، ويتجاوزه بشكل من الأشكال.
لقد استطاع عبد الرحمان زناتي التقاط الأيادي الممدودة في الوقت المناسب، أيادي أناس وفنانين آمنوا به ومكنوا بالتالي هذا الجرح الغائر من أن يندمل تدريجيا.

دون أن ننسى الكتب، التي استطاع بمفرده فك أسرارها، بصبر وعناد. عبد الرحمان زناتي ليس فقط رساما وكاتبا وصحفيا، بل هو أيضا شاهد أساسي لتاريخ تتواصل كتابته. وإذا كان هذا التاريخ ينطبع في الذاكرة، فلأنه يترسخ في مدينة، وفي حياة الرجال والنساء الذين يقطنونها ويصنعونها.
وجدة المنسية، وجدة المهملة، تمثل في النهاية الشخصية الرئيسية الأخرى لهذه السيرة الذاتية حيث يختلط الغضب بالحيوية. لقد كان لنا حظ استقبال هذا الرجل، المتواضع والفخور في آن واحد، فنان كامل وصادق، خلال أمسية استثنائية في أكتوبر 2016 بمكتبة سان-جوس-تين-نود. لقد كانت لحظة تقاسم وإنصات أعطت لمن كان لهم حظ الحضور، فرصة الإدراك بأن الفنان هو آخر متراس في مواجهة البربرية.
نعم، بشكل نهائي، إن الفن يمكن أن يواجه الحظ العاثر. شكرا للسيد زناتي !

شـهـادة

جواد مباركي

ينحدر الفنان من جرادة، وهو يعيش ويشتغل بوجدة.

يتضمن عمله شخصية متكررة، في شكل «مفكر» يجلس القرفصاء، ويتميز بهدوء غريب.

في أكتوبر 2016، شاركت في معرض سان-جوس.
وفي يوليوز 2017، شاركت بمعهد العالم العربي في معرض «Les Chemins du Sacré». وقد كانت هاتين المشاركتين مثمرة : فالعرض بالخارج طريقة لتكشف صورتك أمام الآخر ولكي تكتشف الآخر. إن السفر بالأعمال، هو سفر بالأفكار. والوسيلة هذه لمجاورة فنانين من جنسيات مختلفة يعملون بطرق ومناهج فنية مختلفة، مكنتني من توسيع مجال الرؤية، وقد أثر ذلك دون شك في طريقة عملي، دون إغفال السياق والإطار اللذين عرضت فيهما، واللذين رغم كونهما شكلا عائقا، مكناني من تثمين عملي.
أنا أعتبر هذا النوع من العرض بالمغرب وبالخارج، كمرحلة بالنسبة لي، وقاعدة جديدة. إنها تقدم الكثير للفنان، من حيث الأفكار والمقاربة الفنية والفكرية. هناك عنصر هام جدا نجده أكثر بالخارج من المغرب : هو الاهتمام بالعمل. فالزوار أكثر إحساسا بالأعمال الفنية، مما يمكن من الحديث عن العمل بشكل مختلف ومن تصور الإبداع بشكل آخر. وهذا يساعدني على الإحاطة بمواضيع البحث بصورة مختلفة ومن تنمية منهجي الفني.
كانت تجربة سان-جوس خارجة عن المألوف ولقيت نجاحا حقيقيا. لقد شاركت بعمل «القنطرة»، وهو إقامة تنهل من المكان نفسه أي سان-جوس. وقد كانت الفكرة خلق رابط، وبناء جسر بين سان-جوس وجرادة. لقد كان العالم الذي اكتشف منجم الفحم الحجري لجرادة بلجيكيا، وقد ألهمني ذلك كثيرا. ويتمثل العمل في ثلاث مكعبات : اثنان مصنوعان من أحجار ترصيف سان-جوس، وبينهما مكعب من الفحم الحجري استقدمته من جرادة.

أما مشاركتي بمعهد العالم العربي فقد كانت مختلفة. فهي عبارة عن إقامة نحتية تمثل رجلا جالسا القرفصاء يرتدي الأبيض ويدور في دائرة من السياج الحديدي الأبيض الذي يذكر بالكرة الأرضية.
إنه عمل أكثر روحانية وتأملية وإحدى شخصيات إبداعي : المفكر.
لقد كنت أرغب أيضا في إقامة حيث أرفض اللون، فلون واحد كان حاضرا في هذين العنصرين هو اللون الأبيض.
في سان-جوس أو معهد العالم العربي، كانت مشاركتي مفيدة جدا وعبر الناس عن ترحيبهم بنا. وبسان-جوس، كان التواصل أفقيا والبعد الإنساني قويا جدا : لقد كان ذلك ناتجا ربما أيضا عن الوقت الذي خصص لتهيئ المعرض ومختلف الفضاءات المخصصة له، والتقاسم مع الشركاء الآخرين ومع كل الفنانين.
لقد كنت أرغب في عرض أعمال أخرى، أو في أن أنظم معرضا فرديا، لكي يستطيع الجمهور أن يكتشف أعمالي بشكل أفضل، لأن قطعة واحدة لا يمكن أن تعكس منهجا فنيا، أو روح الفنان. بواسطة قطع أخرى معروضة، قد أستطيع التعبير بشكل أفضل عن إبداعي، لأن هناك فوارق طفيفة في نفس التفكير.
أن تكون فنانا بجهة الشرق ليس دائما بالأمر الهين.
وإلى غاية اليوم، لم ننجح في الحصول على جمهور من المشاهدين المتمكنين.
لدينا اليوم حظوظ أكبر للعرض بوجدة، لكن فضاءات العرض تظل قليلة. فهناك الآن قاعتين للعرض، لكن مع الأسف نرى نفس الأشخاص طيلة مدة العرض.

«قنطرة» ، إقامة لجواد مباركي، حجارة ترصيف وفحم حجري، سان-جوس، 2016

شـهـادة

زينب نصري
الفنانة مهندسة معمارية بالوكالة الحضرية لوجدة، ولكن أيضا أحيانا متدخلة بجامعة محمد الأول لوجدة.
إنها تقتحم بنفس القدر عالم الفنون التشكيلية ومجال الأصوات وإقاماتها تعيد رسم أحاسيسنا .

شاركت بسان-جوس في معرض «Parcours Oriental»، ثم بمعهد العالم العربي في حدث «Les Chemins du Sacré»، حيث كان الموضوع مفيدا للغاية ومعقدا أيضا. كان ينبغي أولا تحديد مصطلح المقدس، ثم إيجاد طريق يؤدي إليه و يغرف أيضا من جهة الشرق. لقد قدمت عملي «Douar» الذي ينتمي لسلسلة من أفلام الفيديو التقطتها بالدوران على طريقة الدراويش. قدم هذا العمل على شكل إقامة مكونة من فلمَي فيديو متقابلين في غرفة سوداء. واحد مصور ببلدة عبو لكحل، قرب فجيج، يعرض للفراغ، مع بضع بنايات عصرية في فضاء فارغ، باستثناء شبحين بعيدين، والآخر يقترح بالعكس مدينة حيث المباني والجدران وتفاصيل المعمار تتدافع إلى حد الاختفاء، ثم تحيى مجددا.
«Douar» الذي يعني أيضا قرية، هو أيضا التفاتة إلى التحضر وإلى بنائها في مخيلتنا. يتعلق الأمر بإيقاظ مخيلة المشاهد، ووضعه بين هذين التصورين الذين يتحركان من أجل إحداث دوار لديه. بسان-جوس، كان المعرض مسارا في عالم جهة الشرق، ولكن أيضا مسارا في هذه الجماعة التي أصبحت فيها العديد من الساحات العمومية فضاءات للعرض.
لقد عرضت عملي «An other utopia» في فضاء حديقة ستورس (Steurs)، وهو يظهر شكل خراب مكون من أحجار الترصيف لسان-جوس : إنه تذكير بتاريخ المعمار العصري، المبني في غالبيته على خراب الماضي. لقد كان الأمر تحديا، حيث كان ينبغي إنجاز العمل في عين المكان، مما جعل العمل أكثر متعة لأنني «بنيت» برفقة أصدقاء فنانين وممثلين. لقد كان نوعا ما بناءا جماعيا لهذا المكان، الذي أصبح «لا مكان» آخر.
الفنان مسافر وسفره ليس جغرافيا. ومن المهم بالنسبة إليه تغيير السياق والبيئة ورؤية ما حقق في مكان آخر وتقاسم فنه. هذه التظاهرات تؤثر كثيرا على طريقة العمل، أولا لأنها تساعدنا على التموقع ومعرفة هل بإمكاننا التحدث بلغة كونيـــة.
ثم هناك التعلم : فكل معرض يشكل مرحلة فـي حـيـاة الفـنـان، ومناسبة مواتية لطرح الأسئلة وللاستراحة والتأمل.

الحديث مع الجمهور حول الأعمال هو أيضا أساسي. والمعرض هو لحظة يعيش فيها العمل الإبداعي بشكل مختلف، ويحيى في عيون المشاهد. لقد تمكنت بسان-جوس أن أتحدث إلى عملي : لقد حظيت بفرصة كون هذا العمل يتواجد في فضاء مفتوح أمام المارة، وكان هناك نقاش مع المنظمين وحتى مع الفنانين. كنت أشعر بأثر أعمالي لدى الزوار. إن العرض بجماعة مختلطة مثل سان-جوس (أكثر من 130 جنسية) أو بمؤسسات مثل معهد العالم العربي هي فرصة بالنسبة للفنان وللجهة.
الفن وسيلة ممتازة لنسج روابط بين الجهات ومحو الحدود.
كنت أتمنى ألا تكون بعض الأعمال سريعة الزوال... على غرار الطوباوية والخراب.
أن تكون اليوم فنانا بجهة الشرق تفرض أيضا مواجهة مشاكل التنظيم واللوجستيك، إلى أقصى تفصيل. بالنسبة للأهم، فنحن من علينا صنع الحدث، وننظمه ونبحث عن تمويله، الخ. لم أتابع مسارا أكاديميا مرتبطا بالفنون.
قد قربني تكويني كمهندسة معمارية من الفنون، ولكنني أشعر غالبا بأني مشاهدة أكثر من فنانة، بالتفكير بأن العمل ينتمي للمشاهد، الشغوف بتفسير الفن أكثر منه بالممارسة، ولهذا السبب أيضا فإن النص والصوت والكلمة تحتل كل هذا الحيز في أعمالي. وقد أثر في كثيرا لقائي مع الفنانين ومع جمعية شبكة الفن : وهذا التواصل مع الفنانين هو ما يساعد على تطوير المنهج الفني.
يمكن القيام بأشياء كثيرة بجهة الشرق : الأروقة قليلة، غياب متحف، غياب المستخدمين الثقافيين... كل معرض يمثل مغامرة، ولكن كل فنان يجب أن يستمر في العمل، وفي الإنتاج، وفي العرض وفي تنمية فنه. علينا أن نبحث عن وسائل دعم جديدة.
أن تكون «فنانا» هي مسؤولية ثقيلة، ينبغي استحقاقها في كل لحظة. وأن تكون فنانة امرأة، تجعل المسؤولية أثقل. فالفنانة المرأة، هي مسؤولية معنوية مزدوجة. جهة الشرق تحتاج للاثنين.

«An Other Utopia» إقامة لزينب نصري، حجارة ترصيف، حديقة ستورس، سان-جوس، 2016

الفن والتراث :
أدوات ممتازة
للترويج والتنمية الجهوية

سعيدة ماهر
مكلفة بمهمة
مديرية التعاون الدولي
وكالة جهة الشرق

من بين ما تضطلع به الكاتبة، فإنها تابعت مجموع تطورات السياسة الثقافية الجهوية التي تسطرها وكالة جهة الشرق بشراكة مع المؤسسات والمجتمع المدني. ومن موقعها كشاهدة وفاعلة، فهي تعيد تأطير الإنجازات في مخططات العمل، وتفسر الأهداف وتذكر بالأفاق.

تعد جهة الشرق غنية بتراثها وبتنوعها الثقافي. لذا، فإن مؤهلات الإبداع الفني بكل أشكاله واضحة بها وتبحث فقط عن طريق للتعبير : فجهة الشرق وتراثها المتنوع هي مصدر فخر وإلهام أيضا للعديد من الفنانين.

يعتبر الارتقاء بالجاذبية الثقافية لجهة الشرق ضمن الوسائل التي تعبئها الوكالة لمنح الجهة على الصعيد الدولي صيتا وصورة جيدين وشخصية مميزة وقوية، وهي أشكال تمثل مقدمات أساسية للاستجابة للمهام التنموية التي حددها ظهير إحداث هذه الوكالة. وتؤكد الممارسات الجيدة على الصعيد الدولي صوب هذا النهج.

بالاستناد على الجمعيات والفاعلين الجهويين، فإن الوكالة ترغب في الارتقاء ودعم وتشجيع الصناعات الإبداعية بمختلف تعبيراتها واستخدام ذلك لإرساء صورة جهوية حيوية من أجل استقطاب المستثمرين والشركاء في ميادين أخرى. ويتعلق الأمر إذا بسياسة أو نهج للتحفيز والمواكبة والتوجيه، يرسي توازنا بين المحافظة على مختلف أشكال التراث الثقافي واستعماله لغايات تنموية، وكذا الانفتاح على الفن المعاصر.

استراتيجية تنموية ذات الأمد البعيد

نتج عن دعم الأنشطة الثقافية بالجهة فورة في المشاريع الفنية والثقافية وأحيى مجددا أرضية ثقافية وفنية واسعة تحاكي النشاط الكثيف لعشرينات القرن الماضي. وقد مكن تفعيل الذاكرة هذا من القيام بجولة فنية حول مجموعة من الممارسات تشمل الشعر والغناء والرقص والرسم والنحت وحتى الإقامة، إلى غاية التصوير وفن الفيديو.

صورة للإنجاز «كتاب» الذي تصوره ولعبه المسرحي محمد علال، وأخرجته الفنانة زينب نصري

كأفضل توضيح على ذلك، نشير إلى ميلاد مهرجان OrientA، الذي ظل لمدة طويلة يحمل إسم Orient'Art Express، منذ 2010، الذي عرف نجاحا فوريا وأصبح بمرور الدورات حدثا فنيا وثقافيا رئيسيا بالجهة.

فضلا عن إعادة إحياء الإبداع الفني، فقد ساهم في إحداث العديد من أروقة العرض بمدينة وجدة ومنح حياة ثقافية جديدة لأماكن أخرى، وخاصة مختلف المواقع التاريخية التي أصبحت شبه منسية مع مرور الوقت.

الأمر نفسه بالنسبة لمهرجان الموكب الأدبي لكفايت الذي استطاع، منذ دورته الأولى في سنة 2012 وبفضل دعم وكالة جهة الشرق، شريكه المالي الوحيد، أن تجمع كتابا وشعراء ونقاد وفنانين تشكيليين مرموقين حول الأدب والنحت.

وهو يقدم في كل دورة، مجموعة رائعة من المنشورات المرجعية للمشاركين، إضافة إلى وضع تحفة منحوتة في إطار مشروع «كفايت، متحف في الهواء الطلق».

يظهر هذا الحدث إرادة المجتمع المدني إلى جانب الفنانين لخلق دينامية حول الفن والثقافة بتشجيع مشاريع فنية بإقليم جرادة - والتي يهمها بشكل خاص هذا العدد عبر تظاهرة سان-جوس - وخاصة جماعة كفايت.

بعث هذا المشروع الثقافي الوحيد الحياة في أعمال فنية مستدامة، ومنها نحت ضفدع باشو الذي يعود إلى الفنان جواد مباركي بمساعدة فنانين محليين آخرين. وقد تنظموا بعد ذلك في إطار تجمع دائم سمي نادي الضفادع.

اعتبارا للمؤهلات الطبيعية والفنية لهذه الجماعة، سخرت الوكالة إمكانيات لبناء وتجهيز مأوى عصري، بلمسة تقليدية وفنية خاصة بهذا الإقليم.

رواق مولاي الحسن للعرض بوجدة

الفنان جواد مباركي ومرافقوه بجوار ضفدع باشو

نحت للفنان عبد النبي كتوي (كفايت)

ملصق الموكب الثقافي المنظم بكفايت

تنمية ثقافية معدة لحمل صورة وصيت على الصعيد الدولي

تحتل الموسيقى والرقص أيضا أولوية كبيرة في سياسة وكالة جهة الشرق.

المهرجان الدولي للراي بوجدة، نجاح شعبي باهر

يمكن أن نذكر هنا بتطور المهرجان الدولي للراي الذي استطاع منذ دورته الأولى سنة 2007 إعطاء زخم جديد لهذا الفن على الصعيد العالمي من حيث جانبه الاحتفالي وأيضا الفكري بفضل ندوته السنوية ومباراة أكاديمية الراي. وقد شكل بالذات الحدث الوحيد الموجود في يناير 2016 في تظاهرة «30 سنة للراي بفرنسا»، المنظمة بقاعة لوزينيت (Zénith) بباريس.

تواصلت الإستراتيجية الثقافية لوكالة جهة الشرق، وهي تتطور وتتكيف بدون انقطاع ولكن تحافظ على التعريف والترويج لثروات ومؤهلات جهة الشرق على الصعيد العالمي كمكون دائم.

هكذا، ساهمت أحداث بارزة تضطلع بها منظمات غير حكومية تابعة للجالية الجهوية المهاجرة بنشاط في الارتقاء بصورة جهة الشرق عالميا، بفضل إمكانياتها الفنية والثقافية، ومنها على سبيل المثال :

- الدورة الثالثة للمهرجان الثقافي المغربي لتولوز، والذي تضطلع به القنصلية العامة للمغرب وبلدية تولوز، مع مجموعة من الجمعيات منها أعضاء جالية جهة الشرق، الذين كرموا الجهة لمدة ثلاثة أيام بحدائق ريمون السادس وفي رصيف لافيكوري على نهر لا كارون، في حي سان سيبريان الرائع ؛
- أسابيع جهة الشرق بأميان، منذ الدورة الثالثة سنة 2010، بتشكيلة من الأنشطة حول ثروات منطقتنا، مع تقييم مؤهلات فناني الجهتين ؛
- تكريم جهة الشرق في منطقة رون-ألب في يونيو 2011، خلال الملتقيات المتوسطية رون-ألب الرابعة، بتورنون سير رون وكيلهيران-كرانج ؛
- الأيام الثقافية وجدة باي ليل «Oujda By Lille» منذ 2012 (انظر في الصفحة الموالية، أربع صور لإحدى تدشينات هذه الأيام بحضور مارتين أوبري).

في خضم العمليات الثقافية المحلية والجهوية والوطنية، استطاع فنانو الجهة أن يجدوا لهم موقعا أيضا داخل أحداث على الصعيد العالمي كـ :

- في مارس 2011، تظاهرة «موروث الثقافات اللامادية بالبحر الأبيض المتوسط والتنمية الجهوية : حالة جهة الشرق المغربي»، وهو مشروع خلق من تعاون بين وكالة الجهة والبعثة الدائمة للمملكة المغربية لدى اليونسكو ومدينة فجيج وتجمع جمعية الفجيجيين بفرنسا، هدفه الارتقاء بالموروث الثقافي للجهة والتحسيس بالمحافظة عليه، مع تركيز خاص على موروث فجيج، العاصمة الواحاتية لجهة الشرق (انظر الصفحة الموالية، تغطية أعمال التظاهرة وفي الصفحة 46، العديد من صور المعرض بمقر اليونسكو) ؛

أعمال المناظرة بمقر اليونسكو

الأيام الثقافية Oujda By Lille، بمدينة ليل الفرنسية

الأيام الثقافية Lille By Oujda، بمدينة وجدة بالمغرب

اختتمت التظاهرة بحفل عشاء تخلله عرض لزي البلوزا، نظمته السيدة لطيفة منتبه، رئيسة الجمعية الشرقية للتنمية (هنا في الميكرفون)

جهة الشرق تعرض هويتها ومنتجاتها المجالية بمقر اليونسكو

تقديم تعليمي وافر التوضيح

مؤتمرات من المستوى العالي (هنا مع السيد أندري أزولاي، مستشار صاحب الجلالة)

عرض للمنتجات المجالية (هنا، قطع مختلفة من الصناعة التقليدية)

• في 2015، كانت وكالة جهة الشرق شريكة لمعهد العالم العربي بباريس في إطار المعرض الحدث «Le Maroc Contemporain»، وهي تظاهرة ثقافية ترتقي بمجموع الثقافة والهوية المغربيين في تاريخها وتنوعها، وقد تم، خلال يومين، إبراز جهة الشرق عبر إبداعاتها في عدة ميادين كالفنون التشكيلية والغناء والإنشاد (الموسيقى الغرناطية واليهودية العربية)، والرقص التقليدي والعصري والتصوير الفوتوغرافي والشعر وفن الطبخ وتنشيطات أخرى مختلفة ؛

• في أكتوبر 2016، تم تكريم جهة الشرق بمناسبة الدورة الرابعة لحدث «Saint-Josse, place pour tous»، التي أرادت الوكالة عبره الارتقاء بالإمكانات الفنية والاقتصادية للجهة، بمساهمة العديد من فناني جهة الشرق، وهو مشروع يحتفي بتوأمة مثمرة بين بلدية سان-جوس -تين-نود وجماعة جرادة.

استراتيجية للتواجد على الصعيد العالمي

منذ إنشاءها، تعمل وكالة جهة الشرق بنشاط على تعزيز تواجد وظهور الجهة عبر :

• دعم المبادرات المحلية الموجهة للارتقاء بمؤهلاتها ؛

• إعداد ووضع إستراتيجية للتواصل لتحسين الصورة والصيت الجهويين لدى المستثمرين الوطنيين والأجانب ؛

• الارتقاء بالشراكة وكذا تعبئة التمويلات.

إضافة إلى العمليات المشار إليها سابقا، هناك مشاريع تكاملية تؤسس الدينامية الجديدة وهي تدمج المستويات المتكاملة التالية الثلاثة للتدخل :

1- التعاون مع المنظمات المتعددة الأطراف، ومنها :

• مع برنامج الأمم المتحدة للتنمية، لتصور وتفعيل البرنامج المحلي المندمج لجهة الشرق ؛

• برنامج دعم اتفاق الشراكة مع الإتحاد الأوروبي، والذي نتج عنه المركز الأورو-متوسطي للموارد والخدمات بجهة الشرق ؛

• برنامج تثمين المنتجات المجالية مع منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية ووزارة الصناعة والتكنولوجيات الجديدة ؛

• عمليات لفائدة الطفولة في الوسط القروي بالجهة مع منظمة اليونسيف ؛

• برنامج التسويق الترابي وتشجيع الاستثمارات في جهة الشرق بالتعاون مع مؤتمر الأمم المتحدة حول التجارة والتنمية ؛

• برنامج التدريب الترابي بشراكة مع المنظمة الإفريقية مدن وحكومات محلية متحدة-إفريقا (CGLU-Afrique) وبالتعاون مع المنظمة غير الحكومية البلجيكية إيكو كومينيكاسيون (Echos Communication) ؛

• البرنامج الجهوي مبادرات المغاربة المقيمين بالخارج بجهة الشرق (PRIMO)، في إطار مشروع الشراكة الذي يربط الوزارة المكلفة بالمغاربة المقيمين بالخارج، وخبرة فرنسا (Expertise France)، وولاية جهة الشرق ومجلس جهة الشرق ووكالة جهة الشرق والمركز الجهوي للاستثمار وفاعلي المجتمع المدني. وتترجم وكالة جهة الشرق في هذا المشروع الأخير، الإرادة المؤسساتية، التي تندرج في إستراتيجيتها للتسويق الترابي، في تعزيز برنامج العمل في اتجاه الجالية المنحدرة من جهة الشرق.

2- التعاون الثنائي، المقوى مع إسبانيا، فرنسا، إيطاليا، ألمانيا، كندا والعديد من الدول الإفريقية وبالعالم العربي.

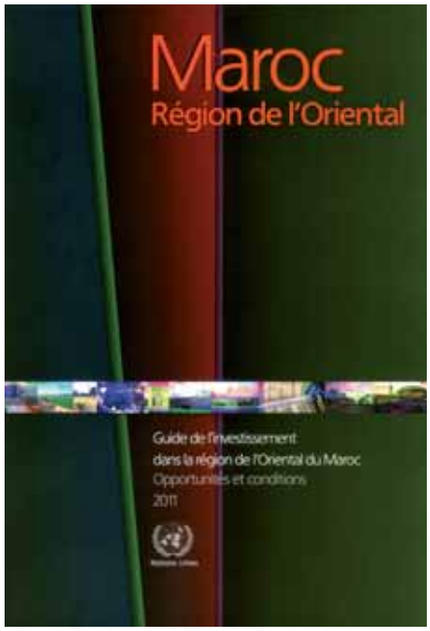

ترجم «دليل الاستثمار» التعاون مع مؤتمر الأمم المتحدة حول التجارة والتنمية

أحدث «التدريب الترابي»، وهو ثمرة شراكة مع منظمة مدن وحكومات محلية متحدة-إفريقيا، علاقات تعاون عبر القارة الإفريقية

ملصق إعلاني لمعرض الرسام عبد الرحمان الزناتي بالمكتبة الجماعية لسان-جوس

3- تعاونات معززة بفضل أحداث ذات الوقع القوي، ومنها :

- تنظيم أيام لجهة الشرق في مرحلتي مرسيليا وليل من قافلة المغرب - فرنسا 2007 ؛
- تنظيم معرضين مخصصين للجالية المقيمة بألمانيا والمنحدرة من جهة الشرق في إطار منتدى المغرب 2008 و2009 (فرانكفورت) ؛
- المشاركة في مؤتمرات فرنسا-مغاربيو باريس (من 2006 إلى 2014) مع تعبئة منظمات للشباب منحدرة من الجالية الجهوية، وخاصة جمعية الشباب الأورو مغاربيين-أوروبا ؛
- المشاركة في دورات معرض (Classe Export) في مختلف مدن فرنسا، حيث تم تكريم جهة الشرق بمساهمة مؤسسات مثل المركز الجهوي للاستثمار والاتحاد العام لمقاولات المغرب ومجلس الجهة.

تطورات حديثة وإطار للتفكير

بين بلدية سان-جوس-تين-نود وإقليم جرادة، يتعلق الأمر بروابط شراكة.

وقد وضعت هذه الروابط في إطار التوأمة، وتهم العديد من المشاريع السوسيو ثقافية والتي تكللت في غالبيتها بالنجاح. وقد شكل هذا المهرجان مناسبة لتعريف الجمهور البلجيكي وساكنة بروكسيل بالخصوص وأفراد الجالية المنحدرين من جهة الشرق، الكثيرين بالمنطقة، بالتنوع الكبير للتعبيرات الفنية والحرفية الجهوية، وخاصة المرتبطة بإقليم جرادة ومختلف أوجه تراثها، عبر برمجة غنية، تقام بأماكن رمزية بالمدينة المضيفة :

- حفل لموسيقى الغرناطي بالبرلمان الفرنكوفوني لبروكسيل ؛
- مسرحية «المهد» لجمعية كوميدراما لوجدة في فضاء توتس (Toots) ؛
- لقاء أدبي بحضور عبد الرحمان زناتي بالمكتبة الجماعية لسان-جوس ؛
- معرض لأعمال فنانين تشكيليين من جهة الشرق.

كان حفل الافتتاح رائعا كما تشهد على ذلك اللقطات التالية.

بالبرلمان الفرنكوفوني لبروكسيل، جولي دو كروت، رئيسة البرلمان (الصورة في الصفحة قبله في العمود الأيسر)، ومحمد امبأركي، المدير العام لوكالة جهة الشرق، يتبادلان الكلمات بمناسبة التوأمة

من بين العمليات الثقافية القوية المقامة بالمناسبة، توأمة إقامتين أنجزهما فنانين – شعراء منحدرين من الجهتين المتوأمتين – كصدى لعمل منجز وفق نفس المبدأ خلال دورة 2012 للموكب الأدبي بواد زا (جرادة).

بعد الشراكة الأولى الناجحة سنة 2015 بين وكالة جهة الشرق ومعهد العالم العربي، تمت مواصلة هذا التعاون سنة 2017 بمناسبة المعرض الهام : «كنوز الإسلام بإفريقيا، من تمبوكتو إلى زنجبار». في هذا الإطار الجديد الذي عرف إقبالا كبيرا، تم تخصيص ثلاثة أيام لجهة الشرق المغربي في شهر يوليوز تحت عنوان «Les Chemins du Sacré dans l'Oriental Marocain».

رواق جهة الشرق في قمة «المدن الإفريقية» بمراكش سنة 2009

يسعى هذا العرض لأن يكون إرادة للانفتاح والحوار مع «الآخر» في اختلافه. وقد تحاورت قطع تاريخية - أشياء، مخطوطات، تخطيطات، بالخصوص - مع أعمال حديثة وتطمح في الانسجام معها. وهذا الحدث يفتح أيضا أبوابا نحو تعبيرات فنية أخرى، كالموسيقى والرقص المعاصر واللباس التقليدي والحكاية. ويقترح هذا الحدث في النهاية تفكيرا حول روحانية ومعتقدات جهتنا.

التنمية الجهوية هي أيضا مشروع ثقافي

بفضل سياستها الإرادية المبنية على القرب والإنصات، كونت جهة الشرق وحركت مقاربة جديدة حول الثقافة وتصورت مع شركائها المؤسساتيين والمجتمع المدني مشروعا ثقافيا متجددا. وقد هيأ هذا المشروع بتناغم وتكامل مع مهام التنمية وهو يسير على هذا الشكل. أقامت من أجل ذلك أدوات للعمل ملائمة للإبداع والتثمين والنقل.

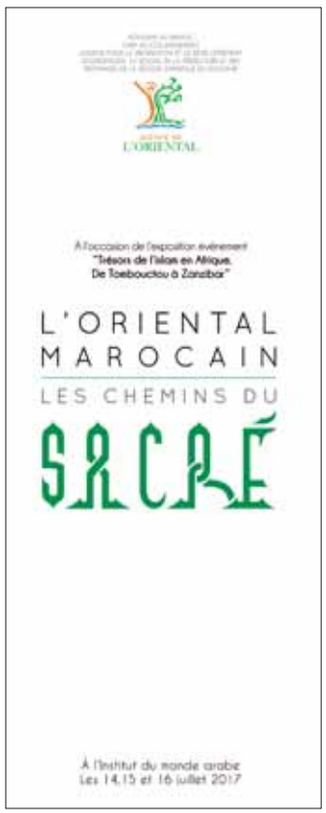

كل حدث تدعمه وكالة جهة الشرق يلعب دورا في مسلسل الإبداع المعاصر ويرتقي بالتراث الجهوي.

كل حدث تدعمه وكالة جهة الشرق يلعب دورا في مسلسل الإبداع المعاصر ويرتقي بالتراث الجهوي : وهو يساهم في النهوض بالمجال الترابي وبشخصيته العميقة.

قامت تظاهرات ثقافية في جهة الشرق، أيضا، بمهمة أساسية في تنشيط المواقع والأماكن التراثية، حيث مكن الاستعمال - وإعادة الاعتبار التي ترافقها لإقامة حفلات ومعارض - من إنتاج تخيلات حضرية جديدة أكثر متعة وتناسبا من إدراكنا السابق للمدينة. وهذه الممارسة الحميدة ازدهرت بمناسبة المهرجانات وبالتالي أحيت معالم ومآثر مهملة :

- ساحة أجدير بفجيج (بمناسبة مهرجان الواحات) ؛
- قصر المؤتمرات بالسعيدية (بالنسبة لمهرجان الركادة) ؛
- متحف للا مريم (الذي يعبأ لاستقبال مهرجان ربيع غرناطة ومهرجان البلوزا) ؛
- رواق مولاي الحسن (للعديد من المعارض ومختلف الأحداث) ؛
- أماكن عمومية، جدران وشواطئ، بفجيج وبركان والسعيدية وراس الما، بفضل الصباغات الحائطية ومنحوتات رملية منجزة خلال مهرجانات آرت رمال ؛
- مكتبة الشريف الإدريسي، التي أنشئت سنة 1956، لاحتضان مهرجان Orient'Art Express ومهرجانات أخرى.

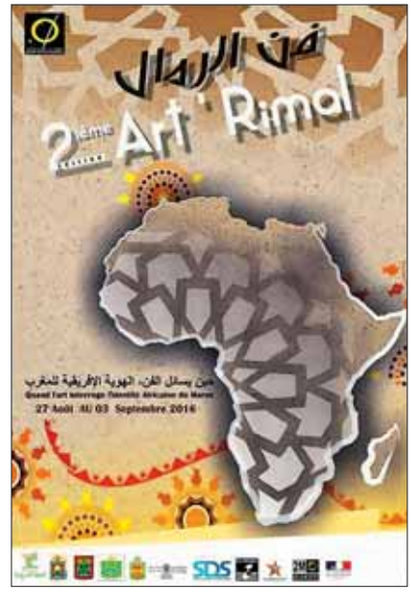

نحت على الرمل، بمناسبة مهرجان آرت رمال «Art'Rimal» بالسعيدية

هذا العمل في العمق وفي الصورة هو الذي سمح، من بين ما سمح به، لوجدة، بأن تكون في وضعية اتخاذ مبادرة إحداث المعرض المغاربي للكتاب وتنظيم دورته الأولى في شتنبر 2017.

الخيمة الكبيرة للمعرض المغاربي للكتاب، بجوار مسرح محمد السادس لوجدة، في شتنبر 2017

هذا البناء لصورة ثقافية متجددة التي لا شك ساهمت في اختيار وجدة، سنة 2018، من طرف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، «عاصمة الثقافة العربية».

هذه الاستنتاجات تثبت المسار المثالي لجهة الشرق، التي في الغالب لم تنته بعد من جني ثمار هذا المسار. وهي تؤكد الاختيار الاستراتيجي لجعل الثقافة محركا للتنمية المستدامة، باتصال مباشر، وتناغم وتكامل مع الأنشطة ذات الطابع الاقتصادي أو البيئي أو الاجتماعي.

وكالة جهة الشرق تجند مبدعيها وتراثها المتنوع

الأطفال والكبار معبؤون بمعرض «Orient'Art Express 2011»

السيد المدير العام لوكالة جهة الشرق
في حدث شراكة بديسلدورف (ألمانيا) في مارس 2017

محمد امباركي، المدير العام لوكالة جهة الشرق وعز الدين عبد الوهابي يقدمان مجموعة المؤلفات الجميلة التي نشرتها الوكالة

السيدة إيرينا بوكوفا، المديرة العامة السابقة لليونسكو والسيد أندري أزولاي، مستشار صاحب الجلالة محمد السادس، يتعرفون على الموارد التراثية لجهة الشرق بحضور السيدة عزيزة بناني، السفيرة الدائمة للمملكة المغربية باليونسكو

منظر عن معرض «Les Chemins du Sacré»

مخطوطة قديمة
(مجموعة بدر مقري)

لوحة كتاب، لوحة حرة، لحميد الوراوي،
تقنية مختلطة عل قماش، 100x180 سنتيمتر، 2017

جلباب من صوف، بداية القرن العشرين،
مجموعة المتحف الإيكولوجي لأحفير، 2017، معهد العالم العربي

جزء من المعرض مع الجدار الأخضر
كخط ناظم

منظر عن معرض «Les Chemins du Sacré»

«شخصية معلقة !»، إقامة للفنان جواد مباركي، فلاذ وثوب، مقاسات متغيرة، 2017، معهد العالم العربي

أدوات تقليدية للكتابة، قلم من قصب، محبرة، صمغ غلاف الجوز، طين،
أدوات في ملكية المتحف الإيكولوجي لأحفير، 2017، معهد العالم العربي

شـهـادة

إبراهيم حمامي

غادر الفنان لفترة قصيرة مدينة وجدة ليعود إليها بشكل قوي ويشيد فيها إبداعه.

إنه فنان اللقاء، ويؤمن بتنوع العوالم التشكيلية، ونجد غالبا في أعماله تأثير الخط العربي في أسلوبه المغربي.

شاركت سنة 2016 في معرض «Parcours Oriental»، في إطار التظاهرة الثقافية «Saint-Josse Place pour Tous». لقد كانت مشاركتي الأولى بالخارج وكنت سعيدا بتقديم عملي في إطار وبيئة جديدين. اخترت لهذا المعرض عملي «الكأس المقدس»، الذي أقدمه لأول مرة : إنها إقامة أنجزت في الموقع مكونة من عنصرين : الخيط الأبيض والرصيف الحجري لسان-جوس، واللذان لهما كنقطة مشتركة، كونهما يرمزان للتبادل الثقافي.

يذكر الخيط الأبيض بطرق الحرير بينما كتل الحجارة تستعمل لترصيف الطرق، وهي عنصر يعني الاستقرار والسلام والأمن وبالخصوص التقارب الثقافي.

يظهر شكل هذه الإقامة، الكأس، أيضا قربا بين الشرق والغرب، لأن هذا الكأس المقدس يوجد في الطقوس المسيحية كما عند الشعراء الصوفيين. والكأس هو أيضا عنصر للتقاسم في ثقافتنا الشعبية، على شاكلة كأس الشاي الذي يقدم لكل زائر.

لقد كانت تجربة سان-جوس دافئة. لقد كان السيد جاسان وكل فريقه متحمسين جدا. وكانت الأعمال المعروضة متنوعة وكنا نشعر بنوع من التكامل بين الإبداعات. كان الجمهور في غالبيته مغربيا لأن الحدث كان يحتفي بجهة الشرق المغربي. وبما أنني لم أكن أعرف المكان، فقد قمت ربما باختيار غير ملائم للفضاء الذي خصص لي، فإقامتي ربما كانت تكون أفضل في فضاء مقفل.

في معهد العالم العربي، كانت تجربتي ربما أكثر نضجا. إن العرض بهذا الفضاء يعد فرصة، حيث كان الاستقبال غاية في الاحتراف.

إن التفاعل مع جماهير جديدة هام.

شاركت بأعمال مرتبطة كلها بالخط والشعر، أعمال كان تدخل مفوض المعرض فيها أساسيا لأنها كانت مرتبطة بمسار، هنا مثلا، إلى جانب عمل زينب نصري «Douar» ومؤديا إلى عملها. إذا، هذا العمل لم يكن يقرأ لوحده : فلم يكن له معنى إلا ضمن المسار المقترح من المفوض.

حينما نعرض بالخارج، يحس الفنانون بالقرب فيما بينهم، فنحن نعمل مجتمعين، ونتعاون أيضا، ونعيش الحدث بكل جوارحنا. العرض بالخارج، هو أيضا، بشكل عام، اكتشاف متاحف.

بسان-جوس، كانت لنا فرصة القيام بالعديد من اللقاءات بأكاديمية الفنون الجميلة وبقاعات العرض. إن هذا النوع من العروض يعود دائما بالفائدة على الفنان، الذي لا يمكنه أن يطور إبداعه إلا إذا ترك محيطه. وهذا الأمر يمكن أن يؤثر على الجانب التشكيلي لعمله والتقنية والحامل المستعمل فضلا عن الموضوع المعالج.

هذا الأمر يمكن أيضا أن يغير الصورة النمطية التي قد تكون لنا عن الجهة وتقديم نظرة مختلفة عنها. إن الفنانين في وضعية تسمح لهم بالمساهمة في الارتقاء بالجهة. واليوم، فقد قطعنا عدة خطوات هامة في المجال الفني بجهة الشرق، لكن ليس هناك قسم مخصص للفن بالجامعة ولا سوق للفن، الأمر الذي يحبط الفنان. وتحاول وكالة جهة الشرق إخراج الفنانين من الظل، إلا أنه ينبغي إشراك مصادر دعم أخرى من أجل رفع جودة الفن وثقافة الفن عند الجمهور. إن الفنان يحتاج إلى الدعم، إنها حقيقة يتوجب مواجهتها.

«كأس»، إقامة لابراهيم حمامي، تقنية مزدوجة، 2016، حديقة ستورس، سان – جوس

في جهة الشرق أيضا، الحكاية، مرآة للمجتمع

نجيمة طاي طاي غزالي
أستاذة وجامعية، كاتبة دولة
سابقة لدى وزير التربية
الوطنية، مكلفة بمحاربة الأمية

تنحدر الكاتبة من جهة الشرق وقد أنشأت مهرجان حكايات، بمدينة أكادير أولا، ثم بالرباط وتمارة. تحليلها للحكايات بجهة الشرق يعرفنا كثيرا بمخيال الجهات المختلفة.

يتوجه تدخلي إلى الحلم وطريقي هو طريق الحكايات. أدعوكم إلى مرافقتي في سفر إلى المتخيل، سفر حكايات، بدون حدود ولا قواعد، سفر في دروب الماضي. أنا من مواليد بلدة زليجة بوبكر، التي تبعد عن وجدة بمسافة 45 كيلومتر، وتشرف على الحدود المغربية الجزائرية.

سيتطرق كلامي إلى الحكاية، وعبرها إلى أوجاع المجتمع. وأستند في هذا على حكايات بدأت أجمعها من كل أطراف جهة الشرق المغربي منذ بداية ثمانينات القرن الماضي، وأيضا من مغتربي الجهة بكل من فرنسا وإيطاليا وألمانيا وهولندا وبلجيكا. قد جمعت المئات من الحكايات العجائبية، حكايات الحيوانات، الحكايات الطريفة، والحكايات الدينية. وينتمي المجال الذي نقبت فيه لجهة الشرق، التي تغطي قرابة عشر مساحة المملكة. ويتكون السكان من مكونات قبلية من :

- البربر، وهم الزناتيون، كبني زناسن وبني بوزوكو والزكارا والقلعية... وكذا فروع من صنهاجة كزناكة فجيج ؛
- العرب وهم بنو معقل، كبنو يزيد والعثامنة والشبانات... وكذا بنو سليم، كبني مطهر وولاد سيدي الشيخ... أو أيضا بنو هلال وأهل أنكاد ولهاية...

تضاف إلى ذلك بؤر يهودية، وخاصة بدبدو ووجدة، وكذا مجموعات نازحة من الأندلس وتونس أو الجزائر.

كانت أفضل حاكية بالنسبة لي جدتي، مدرستي الأولى. وأنا متيقنة بالتالي بأن الحاكي أستاذ. وغير ذلك، كان لي نوعان من الحكاة : أولئك الذين ينتمون للعائلات ـ الجدات، العمات والخالات، الجارات ـ ثم أناس التقيت بهم خلال استطلاعاتي أو الرواة أو الحكاة المحترفين في «الحلقة». وعليّ هنا أن أذكر بالساحات المعروفة بالمغرب، كساحة جامع الفنا بمراكش، باب الحد بالرباط، ساحة لهديم بمكناس وباب بوجلود بفاس. وبوجدة، هناك ساحة باب سيدي عبد الوهاب، حيث كنا نجد رواة شرقيين وآخرين قادمين من الجزائر وتونس، ورواة قادمين من مختلف جهات المغرب، من بني ملال، مراكش، الرباط، وفاس، الخ. وبالتالي، فقد كان ذلك يحدث امتزاجا رائعا للثقافات وقنطرة بين المجتمعات.

تصنيف الحكايات

تشمل الحكاية الشعبية كل أشكال الحكاية : الغريبة والمدهشة وقصص الحيوانات، والحجايات أو الألغاز والقصص الدينية أو أساطير الأبطال. لذا، فما على الباحث إلا أن يلتقي بالناس العاديين لكي يغرف المادة الخام، وهذا ما فعلناه لأزيد من ربع قرن. في الأول، واجهت مشكلة دقيقة تمثلت في فرز وتصنيف الحكايات المجمعة. بالنسبة لِـ أرن- طومبسون، الذي يُعتد بتصنيفه، فإنه يطرح أربع مجموعات :

السيدة نجيمة طاي طاي غزالي تجيب عن أسئلة وكالة المغرب العربي للأنباء المغربية

1- حكايات حول الحيوانات ؛
2- الحكايات في حد ذاتها أو الحكايات العجائبية ؛
3- الطرائف ؛
4- الحزورات.

يشتمل تصنيف ميشال سيمنسون على :
1- الحكايات في حد ذاتها (الحكايات العجائبية، الحكايات الواقعية والحكايات القصيرة، الحكايات الدينية، وقصص الغول البليد) ؛
2- حكايات الحيوانات ؛
3- الحكايات الطريفة ؛
4- الحكايات المعددة والجولات.

بالنسبة للحكاية الشعبية المغربية، فإن كثرة التسميات في العربية الدارجة تخلق الخلط. فإذا كانت كلمة (conte) بالفرنسية تشمل كل الأصناف، ففي العربية تستعمل عدة عبارات. ونقوم في ما يلي بمقاربة تصنيفية :

القصة

إنها (le roman) أو (la nouvelle) بالعربية الفصحى، ولكن بالشفهي، فإن عبارات قصة، أو لقصِية أو إقصية تطبق على كل القصص القرآنية حول تاريخ الأنبياء والشعوب : «نقص عليك من أنباء الرسل ما نتبث به فؤادك»، «كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب». قص يعني حكى قصة بكل أمانة. فالأحداث والتفاصيل دقيقة وحقيقية : وهذه العبارة لم تكن تستعمل بالنسبة للقصص الخيالية. ونجدها في القرآن : «نقص عليك أحسن القصص». والحكاة الشعبيون لا يشكلون استثناءا ولا يقولون أبدا : «غادي نعاود لك المحاجية نتاع سيدنا يوسف».

الرواة الشعبيون، الواعون بالطابع المقدس لقصصهم، حافظوا على عبارة العربية الفصحى، مع فونيمية تحترم الكلمة والمعنى. التعبير الشفهي بجهة الشرق يستعمل عبارة إقاصا أو إقاصيا أو لقصيا. وقد امتدت عبارة قصة لتشير إلى سيرة النبي، وبعض صحابته كعلي بن أبي طالب.

تشير أيضا إلى الأنبياء أيوب، ويعقوب وشعيب... وتتمتع هذه القصص بحظوة كبيرة وتقديس. وسواء تعلق الأمر بالقصة التي أنزلها الله في القرآن أو تلك التي أحدثها البشر، فإن دور القصة هو بناء وتقوية الإيمان. لذا، فإن الرواة لا يتركون أي فرصة للتركيز على كل مكارم الشخصية الرئيسية للقصة من أجل أن يتمكن مستمعوهم من إدراك القصد. والمؤمنون يحاولون بالتالي تقليد هذه الشخصيات في ورعها، أو صبرها أو طيبتها، فالقصة بإيجاز مرشد وموجه للمؤمن.

هذه القصص مكتوبة وجامدة، مما يمنع إضافة أو نقص أحداث بالنظر لطابعها المقدس. وعلى الرواة أن يلتزموا بالنص الأصلي حتى لا يجدوا أنفسهم تحت طائلة ما جاء في الحديث : «القاص ينتظره المقت لما يرد في قصصه من زيادة ومن نقصان» إن تكاثر القصة محدود بانتمائها للمكتوب. لذا فإنها تحكى خلال الأمسيات الدينية، بالزوايا أو المساجد، وبالساحات العمومية، تحت إسم حلقة، من طرف حكاة محترفين، ونادرا ما يتم ذلك بالبيوت.

الحكاية

إنها مجموع المغامرات التي عاشتها نفس الشخصية، كمغامرات سيف بن ذي يزن، سندباد، عنتر بن شداد والشطار، أو أيضا حياكة بنو هلال : وهي قصة طويلة جدا، وغنية بالأحداث الأليمة التي تليها نهايات سعيدة.

إنه المجال الذي تتفتق فيه المخيلة وتتكلم. والوقائع التي يحكيها هذا الصنف ليست محل شك بالنسبة للمستمع، لأن الشخصيات، البشرية وغير البشرية، التي تتواجه طيلة الحكاية تُقبَل على أساس أنها واقعية وموجودة. تبرز الحكاية شجاعة، إقدام، فروسية البطل أو الأبطال. والحكاية تنتمي أيضا للمكتوب وتخضع أيضا كالقصة للقيود التي تحد من تكاثرها.

وهي تنشر أساسا من طرف رواة محترفين : «الحكاية ما يقص ويحكى» و«حكيت وحكوت عنه الحديث، أي أتيت بحديثه كما قاله هو». ومن هنا يأتي استعمال الكلمة بالنسبة لحكايات المغامرات التي يفترض أنها حقيقية والتي تحكي تاريخ شخصيات أسطورية، كعنتر بن شداد أو سندباد. وعندما يقول الراوي بأنه سيحكي هذه الحكاية أو تلك، فهو يعني بذلك أنه سيروي بأمانة ما عرف. ولذلك، فربما قد تكون هذه الفكرة هي التي قادت المترجمين لإعطاء تسمية «حاكي» للفونوغراف. وبانتقالها إلى المتكلَّم أو الشفهي، تعرضت عبارة حكاية إلى تحريف بسيط لتصبح حْكاية، مع المحافظة على معناها الذي هو إعادة أو نقل أمينين.

النادرة

مجموعها النوادر : «نوادر الكلام ما شد منه وما كان فصيحا». وهي تعني حكايات قصيرة مرتكزة على الفكاهة التافهة. وهي في الغالب تحكي عن بطولات حضري معروف بدهائه، والذي يسخَر من أناس من البادية. والنادرة تدخل أيضا في إطار المكتوب، لكن ذلك لم يمنع من تداولها. والمجموعة الشهيرة أكثر تظل نوادر جْحا. فهذه الشخصية هي إما ساذجة، وإما ماكرة، وإما طامعة وإما مخادعة. والنادرة بسيطة وسطحية، وهي مسلية لا تحمل أي رسالة أخلاقية أو دينية. وقد انتقل هذا النوع من المكتوب إلى الشفوي ليصبح حكايات شعبية على مستوى اللغة لأنها تحكى باللغات واللهجات المحلية للأماكن، في حين أن مضمونها ظل دوما حكايات قادمة من المشرق، باستثناء نوادر جْحا أو جُحا، التي استوعبها الناس. وهم حينما يحكون عن بطولاته، يؤكدون بأن الأمر يتعلق بجحا المغربي ويجعلونه منافسا لجحا الجزائر أو بغداد ويواجهونه حتى مع جحا فرنسي أو روسي...

الخرافة

نسميها أيضا حَجاية أو مْحاجْية. وتشمل الخْرافة الحكايات العجيبة أو العجائبية، حيث يطغى الخيال على الواقع. والخْرافة تعكس الثقافة المحلية، خلافا للقصة، والحكاية والنادرة في الثقافة العربية الإسلامية. هذا لا يعني أن الخرافة هي نتاج مغربي صرف يعكس الثقافة المحلية فقط، بل أنها تتضمن بعض العناصر المغربية الصرفة، على الأقل على مستوى الرموز المستعملة. والتجديد مقبول في هذا النوع : فالراوي بإمكانه أن يطلق العنان لمخيلته ورغباته. وهي تعطي حريةَ إضافة تفاصيل أو إزالتها، مما يفسر وجود صيغ متعددة لنفس الحكاية في مختلف مناطق المغرب، بل أحيانا في نفس المدينة.

في كلام جهة الشرق المغربي، الخرافة معروفة تحت إسم محاجية أو حجاية، التي قد تعني لغز أو أحجية، لكن يسبقه فعل «عاودْ» الذي يعني قصَّ. غاية الخرافة، أو لمحاجية، التسلية والتربية، عبر العبر التي تحملها. وهي تشمل مجموع الحكايات التي تعتبر نتيجة المخيلة خارج الواقع. وهي تتضمن حكايات الجن والغيلان والحيوانات. وإيجازا، فالحكاية الشفهية تقليديا بجهة الشرق تتضمن :

تشمل الحكاية الشعبية كل أشكال الحكاية.

السيدة نجيمة طاي طاي غزالي في مؤتمر بمقر معهد العالم العربي، وسط المعرض الذي نظمته وكالة جهة الشرق

- القصة أو لقصية ؛
- الحكاية أو لحْكاية ؛
- لخرافة أو لمحاجيا ؛
- لحجايا ؛
- الحكاية التي تهتم بالأسباب وتفسرها.

تتحدث هذه الأصناف عما يهم المجتمعات التي تتبع هذا التقليد الشفوي : وتظهر القصص تقوى المجتمعات وسعيها للصلاح، كما تبرز نفسية ورثة القبائل المحاربة (صنهاجة، زناتة، معقل، سليم، والهلاليين). الحكايات والخرافات، إلى آخره يحيلون إلى كليشيهات المعيش اليومي، مع ما يصاحبها من قرح وفرح، وهي تعكس توجهات الناس وطريقة تجاوز مخاوفهم والمشاكل والعوائق التي يفرضها عليهم المجتمع. وإذا كانت القصة ولحْكاية لا تترك أي مجال أو مجالا قليلا للراوي لينسج من خياله، فإن الخرافة/محاجيا تمنحه حرية تامة : فباستثناء البنية، فكل العناصر الأخرى يمكن أن تغير، أو أن تضاف أو تنقص، حسب إرادة الحاكي وطبيعة الجمهور.

عناصر الحياة اليومية

الطبوغرافيا، الفضاءات والبناء

إن المجالات التي تجري فيها أحداث الحكاية مألوفة ومماثلة للمواقع التي نحن متعودون عليها، مع جبال وتلال وسهول كهوف وغابات ووديان ومنابع وآبار وصحارى وبحار وقصور ومساجد وبيوت بغرف مفتوحة على فناء ورياضات وأحياء فقيرة وخيم ودواوير، لا تسمى أبدا. من أجل الحفاظ على غموض وسحر الحكي، لا يعطي الحاكي أية معلومة عن الوقت بين المراحل : وهو يقول أن البطل ينتقل من بلد لآخر وأن ذلك دام أياما أو أشهرا، وأحيانا سنوات.
الراوي يستخرج النص من الواقع ويضعه في عالم خيالي.

هكذا، فإن الأحداث الرهيبة التي تحدث لن تمس أبدا الجمهور جسديا، فهم محاطون بفقاعة تعزلهم عن المحن، ولا تسمح بالمرور إلا للنشوة والانشراح والأمل التي تمجدها النهايات السعيدة. ولأسباب تتعلق بالمصداقية، يضطر الحاكي إلى ملء حكايته بعناصر عادية تحمل أسماء معروفة وتملأ وظائف عادية في الحياة اليومية، عناصر يشعر المستمعون بالانتماء إليها وتربطهم بالعالم الحقيقي : وهذه العناصر تمنحنا مؤشرات ثمينة عن المجتمع المرسل/المستهلك للحكاية.

العناصر البشرية

نجد في العديد من الحكايات سلطانا (أو اثنين) كقائد سياسي أعلى. غير أن هذه الكلمة تحيل إلى الحقبة ما بعد الدولة الموحدية، حيث دخل استعمال هذه التسمية بالمغرب العربي بعد سقوط هذه الدولة في القرن الثالث عشر وانقسام امبراطوريتها إلى ثلاثة كيانات : المرينيين بالمغرب، بنو عبد الواد بالمغرب الأوسط والحفصيين بإفريقية. وقد استبدل الخليفة وأمير المؤمنين بعبارة سلطان المستوردة من المشرق. أما الشخصيات الأخرى المذكورة في حكاياتنا فهم رجال ونساء وفلاحون وحطابون وتجار وفقهاء، وقطاع طرق وثقاة وخليعين ورجال شجعان وشرفاء ومنافقون ومحتالون... بإيجاز، كل مكونات المجتمع.

العناصر والمواد الطبيعية

كلمات أخرى تربطنا بالمجال الترابي : منتجات فلاحية (قمح، شعير، قطاني، فواكه طرية وجافة، عسل، زيت، سمن)، أغنام، أبقار، معز، دواجن ومنتجات الصيد، طرائد، حيوانات أليفة (الخيل، الجمال، البغال، الحمير، الكلاب والقطط)، حيوانات متوحشة (إبن أوى، القنفد، الغراب، النسر، الصقر، طيور أخرى، زواحف وبرمائيات...).

خلال الدورة الرابعة عشر لمهرجان مغرب الحكايات

عناصر مصنعة ومواد غذائية

يتعلق الأمر بالأثاث (صناديق، سدادر، لْحوف، بورابح)، وأزياء محلية (كندورا أو فوقية)، ومجوهرات وحلي (خواتم، خلخال) معدات منزلية (فراح، طاجين، قصعة أو كدرة، مجمر أو كانون)، وجبات (كسكس، صيكوك، بركوكش، تريد، مبسس، المشوي...). كل هذه العناصر مأخوذة من الحياة اليومية لمجتمعات جهة الشرق. وكثرة التفاصيل والعناصر الحقيقية هو أمر ثابت تحمل المستمع من عالم الواقع إلى الخيال، بسلاسة ونعومة. ويربط الطابع الوصفي المضمون الذي تحمله الحكاية بالواقع : إنه الصلة الضرورية بين الحقيقة والمرجح.

لماذا هذا التحايل ؟

بوصفه ذاكرة محصنة للرموز والقيم الموروثة، فإن الحاكي يستعمل هذه الحيلة لكي ينتقد بكل أريحية (دون تعرض للعقاب) الحكام والوجهاء السياسيين والأمراء وكبار الملاك والمضاربين والتجار الأغنياء، ثم لتمرير خطابات أخلاقية في العمق. في الواقع، يجد المتتبع نفسه في الحكاية، كمضطهِدين (غيلان/طغاة) أو مضطهَدين. فالبعض يحاولون تخفيف قبضتهم بقبول الانتقادات والبعض الآخر سيتنفسون الصعداء وينتشون بفضل انتصار أبطال أو بطلات الخرافات، في وجه الصعوبات : الاستبداد، الطغيان، التفوق الذكوري، تعدد الزوجات، صراع الأجيال أو بين الأغنياء والفقراء، أو ملاك الأراضي والفلاحين والخماسين، أو البالغين والصغار، أو الأحرار والعبيد، أو النظام القائم والتحرر من التقاليد، الخ. وهذه النزاعات تأخذ كل أبعادها في حكايات الغيلان والغولات. وهي تعكس الأوجاع الحقيقية التي تنخر المجتمع. والمستمع يجد نفسه فيها آملا بأن يتجاوز الوضع السيئ الذي يعيقه وبلوغ الوضعية النهائية كبطل أعيد اعتباره : إنه نوع من التنفيس.

إن هذا النوع من الحكاة، غالبا من النساء، يغرفون من مخزونها حكايات حول مُعاش العائلات في مجتمع أبوي ويندون بمساوئ تعدد الزوجات، وبتدني الأخلاق، وبسوء معاملة الأطفال من زواج أول من طرف زوجات الأب، وبالعقر، وبصراع الأطفال مع الأمهات المستبدات، وبالتفرقة المرتبطة بالإعاقات الجسدية ولون البشرة أو اختلاف الجنس. ومن خلال هذا السرد، يحاول الرواة التخفيف من الآثار المدمرة لهذه الشرور. بما أن هذا الشكل ينتمي لنوع الخرافة التي تسمح بالإبحار في عالم الخيال، فالتفاصيل ليست جامدة. فقد تتغير وفق رغبة الحاكي، على صعيد الكلمات أو حسب الأشياء والمشاهد المستعملة. وعليها أن تكون قابلة للفهم من طرف الجمهور، وهذا ما يفسر وجود العديد من التحويرات في نفس المنطقة، بل وفي نفس المدينة، لأن التفاصيل تربط النص بهذه الثقافة أو تلك. والوظيفة التمهيدية للحكاية ممكنة بواسطة اللغة الخاصة التي يفهمها المجتمع، باستعمال رمزية راسخة في اللاوعي الجماعي. وهكذا، تتطرق الحكاية لمواضيع حساسة بدون مركب أو حياء زائف، وأحيانا من أجل تجاوز شخصي، ولو على المستوى الافتراضي، ولكن في الغالب للحفاظ على تماسك المجموعة أمام المحن الناتجة عن هيمنة الذكور، الذين يمتلكون القوة ويضمنون الاستمرارية.

> *دون تحديد زمني أو مكاني، يستخرج الراوي القصة من الواقع ويضعها في عالم خيالي.*

تسليم جائزة الشارقة الأولى للتراث الثقافي

شـهـادة

محمد تاغزوت

الفنان من مواليد عيون سيدي ملوك وهو يعيش ويشتغل بوجدة. إنه رسام وفنان تصميمي وخطاط يساءل أشياء بسيطة مبدئيا ويدفعنا إلى إعادة التفكير فيها.

لقد شاركت في معرض «Les Chemins du Sacré» سنة 2017. إنها مبادرة تستحق التنويه، فالعرض بمعهد العالم العربي يعتبر حظا، وأشكر بالمناسبة المنظمين الذين سمحوا بهذا. للمغرب تاريخ طويل مع تمبوكتو وقد اندمج مع إفريقيا بفضل الثقافة، ومن هنا تأتي أهمية الموضوع ومشاركتنا مع الأفارقة الآخرين. لقد قدمت صورتين فوتوغرافيتين : الأولى، لأحد الأضرحة، كانت مرتبطة في هذا المسار بشعر سامح درويش، والثانية، صورة امرأة موشومة من بني كيل، كانت مرتبطة من قبل المفوض بسجاد يحمل نفس الرسم. وبالنسبة لي، إنه بالخصوص لحظة التقطتها لأغراض توثيقية بحتة : كنت أريد أن أحتفظ بأثر لهذا الوشم الذي لم نعد نراه اليوم. دون شك، إن له معنى آخر، أكثر أهمية، لأنه رمز ولغة : انطلاقا من هذا الوشم ورسمه نعرف أشياء كثيرة حول هذه المرأة، ومنها القبيلة التي تنتمي إليها.

أبعد من ذلك، هناك ذلك الرابط بين هذا الوشم على الجسد والرسم نفسه الموجود على السجاد : وهذا الاستغلال في عدة حوامل يساءل. وكي نعود إلى موضوع المعرض، فإني أرى أن الوشم على الجسد هو أحد التعبيرات الحقيقية أكثر، وبهذا المعنى فإن للعلامة هذا الجانب المقدس. إن إشراك فناني جهة الشرق في مثل هذه المعارض هي وسيلة جيدة جدا للتعريف بالفن بجهتنا. وهي أيضا فرصة لاكتشاف ما يقوم به فنانون آخرون من المغرب ومن دول أخرى. لم يستمر المعرض سوى ثلاثة أيام، وبالنظر للمجهود الكبير المبذول من طرف المنظمين والفنانين، كان بالإمكان العمل على أن يستفيد الجمهور من الأعمال الإبداعية لفترة أطول.

بالنسبة لأي فنان، إنه دائما من المفيد المشاركة في مثل هذه الأحداث، فهي ترفع من قيمته، لأن الفنان لا يعمل على فترة واحدة، فمساره هو مراكمة للمعارض والأحداث، ومجموع لقاءاته، وكل ما يدعم تجربته الشخصية.

ما آسف له أكثر، هو نقص التواصل. إنه مشكل عام بالمغرب لأن لنا القليل من نقاد الفن، ولا نكتب بما فيه الكفاية حول أحداثنا والصدى الناتج عنها ضعيف. والترويج للمعارض هو أيضا غير موجود، وترتادها مجموعة قليلة معروفة. هنا على الأقل جاء من بعيد العديد من الأصدقاء، الفنانين وغير الفنانين. لم أتمكن من التحدث عن أعمالي مع المشاهدين. وقد اكتشفت أنا أيضا المعرض وأخذت صورا للأعمال والعروض المقترحة. كان إدماج عروض حية مفيدا. ما كان ناقصا ربما هي اللقاءات مع فنانين آخرين ومفكرين أجانب. كنت أتمنى أن يكون التواصل مفعلا أكثر. في حياة كل فنان، كل معرض هو بمثابة مرحلة جديدة.

أنا متفرغ اليوم للتصوير وأسافر كثيرا، والتصوير هو مبرر أسفاري.

لقد تطورت الفنون التشكيلية كثيرا، إلا أنه ما زال بإمكاننا فعل المزيد. لقد حضرت كل المعارض بوجدة منذ افتتاح رواق مولاي الحسن، وأظن أن بعضها لا يساءل. هذا الأمر لا يعجب الفنان حينما نقولها له، لأنه يحتاج إلى التشجيع، ولكن عليه أيضا أن يطرح الأسئلة حول مساره وأن يتساءل دوما هل تطور حقيقة.

«امرأة موشومة»، لمحمد تاغزوت، صورة فوتوغرافية على ورق خاص، 80x120 سنتيمتر، 2017، معهد العالم العربي

شـهـادة

محمد بنحمزة

يزيح هذا الفنان، الذي عرف النور ببركان، حدود اللغات الفنية. وبواسطة هياكله «الطوطيمية» وأشكال مختلفة أخرى عديدة، فإن عمله يساءل العلاقة بين الصباغة والنحت والملصق والرسم.

تتوفر جهة الشرق على تاريخ طويل في مجال الفنون التشكيلية. وقد عرفت وجدة المدرسة الأولى للفنون الجميلة بالمغرب، كما عرفت تواجدا قديما لفنانين تشكيليين أجانب. وقد شهدت الجهة فترة طويلة من الكمون تعدت عشرين سنة لم تعرف فيها أي معرض.

لم تبدأ العروض الأولى إلا عبر بعض المبادرات. وفي سنة 2010 ومع إحداث جمعية شبكة الفن A48 ومساعدة وكالة جهة الشرق، أصبحت العروض أكثر تنظيما وموضوعية بالخصوص. ومع عز الدين عبد الوهابي، الذي أصبح المدير الفني لـ «Orienta»، أصبحنا نتوفر على مهرجاننا للفن المعاصر الذي كان يسمى في الأول «Orient'art express».

خلال هذا الحدث، أدرجنا لأول مرة بوجدة عبارة «مفوضية معرض»، وتمكنا من التعرف والمواكبة والعمل مع فنانين آخرين قدموا من العالم بأسره وفق تفكير دقيق يتواصل ويترابط.

أنا أسمي هذا نوعا من النهضة للمرة الأولى بوجدة، لأننا كنا السباقين في هذه الفترة. وخلال البيينال الثانية للدار البيضاء، كانت لي ولفنانين آخرين من جهة الشرق، فرصة عرض أعمالي، لأن وكالة جهة الشرق كانت قد طلبت تخصيص جناح لفناني الجهة. وهي مبادرة جميلة مكنتنا من المشاركة في حدث هام إلى جانب فنانين عالميين. لقد كنا الفنانين الوحيدين من المغرب الذين حظوا بهذا الامتياز. وتعد المشاركة في مثل هذه التظاهرات الثقافية فرصة وحظا لأن العديد من الفنانين لا يستطيعون الولوج لعروض بالخارج.

إن مشاركتي في سان-جوس بـ «غابة إفريقية» كانت تجربة استثنائية. وقد تم فهم هذا العمل، الذي عرض لعدة مرات بوجدة، أو بمدن أخرى مغربية، بشكل مختلف.

إن الرموز البربرية التي استعملها والخط كانت دائما تساءل الجمهور المغربي لأنها تنتمي بشكل من الأشكال إلى ثقافتهم ولكن، بسان-جوس، فهذه الرموز كانت تُقرأ بشكل مختلف.

والحامل (الطوطيم) والعلامات التي استعملتها كانت تخرج عن المألوف. إضافة إلى ذلك، فإن إدماجها في هذه الحديقة البلدية يفرضها على المشهد كما لو كانت جزءا من الفضاء، كما لو كانت قد خلقت هناك. وقد أحدث ذلك نوعا من التناقض، لأن حرارة الألوان تتباين مع البرد التي كان يحف الساحة، مما أعطى المزيد من الصوفية لهذا العمل. وأسفي الوحيد هو أنه في العرض، أحسست جيدا بأن عملي كان يزار أكثر من طرف المغاربة أو أشخاص من أصل مغربي وقليلا من طرف البلجيكيين.

هذا النوع من المعارض هام سواء بالنسبة للفنان أو بالنسبة للجهة. إنها طريقة جميلة للارتقاء بالفن وأيضا بجهة الشرق. وبصفتنا فنانين، فإننا رسل سفراء لجهتنا. وهذه التظاهرات الثقافية تخلق روابط، فاللقاءات مع فنانين آخرين أو فاعلين محليين تشجع الأجانب على زيارة جهة الشرق.

أهم ما استحسنته هنا، هو أن المفوضية مكنت من القيام بـ «مسار شرقي» عبر فضاءات عدة بالمدينة، الذي مثل أيضا مسارا عبر العديد من التعبيرات التشكيلية. وطالما تمنيت أن يكون لهذا المسار استمرارية بوجدة...

«غابة افريقية»،
لمحمد بنحمزة،
طوطيمات، وصباغة الأكريليك
على الخشب، مقاسات متغيرة،
2016، سان-جوس

الحايك، تحفة تشكيلية ولباس تراثي يمثل هوية جهوية*

خديجة الفاضلي
أستاذة ومصممة

الكاتبة من مواليد فجيج، التي تشتهر بارتداء الحايك التقليدي إلى يومنا هذا. وهذا الحجاب الغامض يلهم عملها وكذا تعليمها.

كما هو معروف بناحية الرباط، قد لا يُظهر الحايك إلا عينا واحدة

ينبغي أولا تحديد مفهوم الحايك وإعطاء تعريف لهذا الزي، والتذكير بجذوره التاريخية وعرض مختلف الأنواع الموجودة منه. ويمكننا بعد ذلك أن نوضح أنه في وقتنا هذا، وحدة الزي لن تكون القاعدة في عالم يحتاج فيه كل واحد منا إلى التعبير عن هويته، حتى بواسطة اللباس. وارتداء الحايك لا يمكن إلا أن يندرج ضمن هذا المنحى.

الحايك (التقليدي) ما زال يلبس في بعض الجهات المغاربية (ومنها المغربية) وإفريقيا جنوب الصحراء ويبدو لنا من غير الوارد أن يختفي بسبب عوائق تافهة مرتبطة بالحياة العصرية. لذا، فاعتبار الحايك كمفهوم وليس فقط كزي، يقدم الضمانة لاستمرارية هذا المكون التراثي في مجال اللبس : وهو مفهوم سيتكيف مع كل الأوقات وكل الظروف وكل العقليات، الخ. وقد أصبح الحايك وسيلة أساسية للتعبير عن الهوية بالنسبة للذين يختارون ارتداءه وعلى هذا الأساس يجب أن يُفهم. نحن كلنا متساوون، لكننا لسنا متطابقين، بل إننا مختلفون جدا في تفكيرنا وفي إحساسنا بالأشياء.

عبر منهجية التفكير هذه، يمكن تحليل بعض الأبعاد التي قد يكتسيها الحايك. إن كل بعد يُترجَم عبر شكل لباس وتوجه للموضة. ويمكن أن نصرح بأن مفهوم الحايك موجود في داخل كل واحد منا، شريطة تكييفه مع بعد اختيارنا، حسب منطقنا ومعيشنا. وهذا المنطق سيحررنا من عوائق وكليشيهات الموضة لخلق أسلوبنا الخاص، كما تدعو إلى ذلك الفكرة المعاصرة المسماة «الموضة المضادة للموضة».

أصول وخاصيات مشتركة تحدد الزي

الحايك لباس ترتديه النساء والرجال في بعض البلدان الإفريقية وخاصة المغاربية، مكون من قماش مستطيل الشكل، بطول 5 إلى 6 أمتار وعرض 1,6 إلى 2,2 متر، يلف على الجسم ويثبت بواسطة حزام على مستوى الخصر، ثم يرفع بعد ذلك على الكتفين ليثبت بواسطة مقابض، ليغطي هكذا مجموع الجسم. وتشكل تشجيرات ذيول هذا الرداء أجواخا غاية في الانسجام. ويسعى كل شخص إلى تمييز رداءه حسب الرغبة كما أن هذا اللباس يختلف من منطقة إلى أخرى.

ويمكننا بالشكل التالي إعادة تركيب أصل كلمة حايك :

- بالعربية، كلمة حايك تأتي من فعل حاك أي نسج ؛
- بأمازيغية فجيج، «أسمرد» هي دغم لكلمتين هي أسميد (البرد) و«إريد» (لبِسَ).

(*) مقال لهيئة التحرير انطلاقا من عناصر أحد المؤتمرات المحررة من طرف الكاتبة

الكلمة تقابل إذا «معطاف» أو «لباس خارجي أو للخروج» يحمي من البرد ومن النظرات الفضولية، والذي يتم الحصول عليه عن طريق الحياكة.

في الدول المغاربية، أصول قديمة أحياها النزوح من الأندلس

يعود أصل الحايك إلى الفترة التي كانت فيها روما تفرض هيمنتها على مختلف مناطق شمال إفريقيا، والتي بنيت تدريجيا انطلاقا من انتصاراتها على قرطاج ثم طوال الحروب البونيقية أي تقريبا ابتداءا من 150 سنة قبل الميلاد. وستدوم هذه الهيمنة زهاء ثمانية قرون. وقد وجد الحكم الروماني بالمنطقة المغاربية بالخصوص أرضية مناسبة جدا للتجدر ورسخ بها آثارا حضارية وثقافية وأسلوب حياة. ويعتبر الحايك أحد تعبيراتها.

وتتوفر «التوجا» الرومانية والحايك على نفس خاصيات الملبس والنفعية : قماش كبير منسوج، ملفوف حول الجسم، يستعمل كلباس خارجي للوقاية وكذا غطاءا عند الحاجة.

هناك مرجع آخر يؤكد أن الأصل القديم هو لباس «الشيتون» الإغريقي، الذي اعتمده الرومان ونشروه في مناطقنا. وهو مصنوع من مربعين كبيرين من القماش (من الصوف بالنسبة للنماذج القديمة) يتم تثبيتها على مستوى الكتف بواسطة مقابض، مع تنفيس قليل لمنطقة العنق، ثم شد على مستوى الخصر بواسطة حزام. ورداء «الشيتون» الذي عرف قبل التوجا بمدة لا تقل عن ثلاثة قرون، استعمل كلباس داخلي. والملحفة هي في الواقع نسخة مطابقة لهذا اللباس.

سيلقى الحايك اهتماما متزايدا بالمنطقة المغاربية مدعوما بإشعاع الحضارة الأندلسية. وسوف ينتشر على مجموع المنطقة بعض سقوط غرناطة وقدوم واستقرار الأندلسيين. وهو يعتبر إذا زيا تقليديا أندلسيا ينم عن إيمان ديني إسلامي.

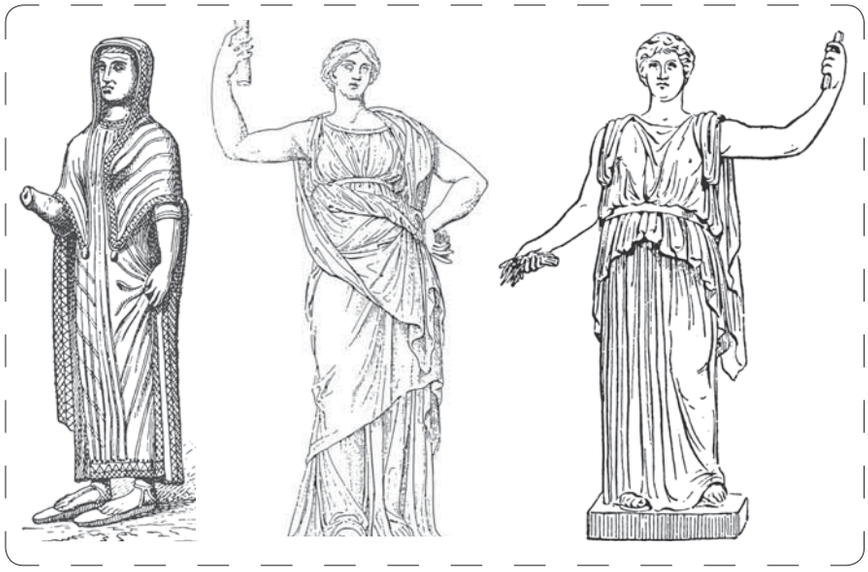

النساء الاتروريات أولا (في اليمين)، والإغريقيات (في الوسط) ثم الرومان، نساء ورجالا (في اليسار) ارتدوا أسلاف الحايك

مجموعة متنوعة من الأشكال والنماذج بالمغرب

يمكن تصنيف أهم الأشكال والنماذج التي ما زالت معروفة ومتداولة بمجموع مناطق المغرب الكبير على الشكل التالي :

- الحايك مْراما، ذو الجودة العالية، المصنوع من خيوط الحرير الخالص، أو من خليط من الحرير والكتان أو من خيوط الصوف الثمين الأبيض ؛
- الحايك العشعاشي، ذو الخطوط الناعمة الصفراء، والذي ترتديه العروس ويلبس في المناسبات الكبيرة ؛
- الحايك الصفصافي، الذي ينسج من الحرير الخالص أو القطن، ولونه أسود، أو أبيض أو أصفر.

بالنسبة للحايك المغربي، تجدر الإشارة بأن اللباس الخارجي للمرأة الحضرية بسيط للغاية. فالحايك بالمغرب هو قماش واسع قياسه حوالي خمسة أمتار على متر وستين سنتيمترا.

يوليوس قيصر، كما كل الأوروبيين الرومان، لبسوا التوجا كحايك

« التوجا الرومانية والحايك يتوفران على نفس الخاصيات. »

الحايك حماية جيدة ضد الريح
(هنا في أزقة واحة إش)

من بين أغراض هذا الثوب حجب شكل الجسد وقسمات الوجه في رداء واحد يتميز أيضا بالمحافظة على رطوبة وحرارة متماثلين للجسد : وهو اختيار جيد لمواجهة البرد والريح.
نجد اختلافات بسيطة بين مدينة مغربية وأخرى بخصوص تقنية الأجواخ. فالحايك قد يكون من القماش الرفيع، أو القماش المحبب، الحايك مُحربل، أو من الصوف والحرير، الحايك شَعرة.

نلاحظ خصوصية الزي الرباطي الذي لا يظهر إلا عينا واحدة. وتجدر الإشارة أيضا إلى الأحذية الحضرية، ذات الشكل الخاص، وهي «الريحيات» ذات اللون الأسود ودعامات خلفية صاعدة. و«رَجلِين السروال»، وهي طماق من القطن أو الحرير مشدودة في الركبة، تنزل متموجة على الكاحل. وفي نفس الوقت الذي تغطي فيه دعامات «الريحيات» الكعب، تخفي «رجلين السروال» الكاحل بحيث لا يظهر أي جزء من الجسد. وهذا اللباس مماثل سواء بالرباط أو سلا، وتعرف النساء بهذين المدينتين عادة بالحشمة الشديدة.
حايك نساء الحواضر أبيض، تتخلله خطوط ذات اللون الأزرق أو الأحمر. في الواقع، وحده الحايك الأسود لتارودانت والمسمى تاملحفت، يمثل استثناءا.
بتارودانت، تاملحفت هو نوع من التوافق بين «إيزار» بربر الجبل والحايك المستعمل بالمدن. وتاملحفت مصنوع من قماش أسود وبالمغرب، فقط نساء تارودانت يحتجبن هكذا بالأسود، كما الأمر بالنسبة للأخوات المسلمات لبعض المدن التونسية.

ارتداء الحايك، اختيار متعدد الأبعاد

البعد الجمالي هو البعد المشترك. وهو يؤدي إلى ثلاثة طرق لاعتماد الحايك :

- اعتماد صيغته التقليدية ؛
- خلق لباس مشابه في أهدافه ومبادئه، ولكن عملي أكثر، كالجلباب (الجلابة)، الذي ليس في حد ذاته سوى حايك مخاط، لأنه يشتمل على كل العناصر ويلبي نفس الوظائف (الطول، الاتساع، وغطاء الرأس، والثوب الخارجي الكاسي) ؛
- الاستلهام من الحايك وتكييفه وتنويعه، وحتى إعادة خلقه على شكل منتوج عصري جديد، مصنوع دائما انطلاقا من أثواب منسوجة يدويا، وبذلك يتم تثمين الشكل كنقطة قوة للزي وتقديم خطوط مكسرة، ذات اللون الأبيض، أو الأسود أو درجات لونية خام، مع إبراز تموجات تشبيكات الأشكال إحالة إلى تراكُب طيات الحايك.

يستند البعد الوظيفي أو العملي على الجانب النفعي المعروف للحايك : السهولة لحمل رضيع، أو أكثر، إخفاء أشياء... خلال الكفاح من أجل الاستقلال بالمغرب، كانت بعض النسوة تخفي السلاح تحت حايكها. ويمكن أيضا استعمال الحايك للغطاء أو للجلوس، الخ.

أثر الحايك في تصميم العديد من الألبسة العصرية، وحتى الحديثة، والمعدة لكي تكون متعددة الوظائف :

- معاطف تدعى «كنغر» تشمل حاملا للأطفال الرضع حتى لا يُعزل الطفل عن أمه ؛
- بلوزات سفر تضم حقيبة ظهر ؛
- سترات تحمل جيوبا سرية ومخبئة لإخفاء الأشياء وخاصة القيمة منها ؛
- ألبسة معدة لإخفاء عيوب الجسم (سمنة، عنق طويل جدا أو قصير جدا، قامة قصيرة، الخ.) ؛
- معاطف محشوة قابلة للتحول إلى فرشة، أو وسادة أوغطاء.

زقاق بواحة فجيج

البعد الرمزي أيضا حاسم لاختيار هذا اللباس لأن الصورة التي تعكسها المرأة هو معيار حاسم في الغالب بالنسبة لها. فالحايك رمز للطهر والحشمة والانتماء الهوياتي. والقيم المحمولة هي :

• الطهر، الذي يترجمه اللون الأبيض، وغياب كل التفاصيل الزائدة، ومواد طبيعية وخالصة كالكتان والقطن والحرير أو الصوف، وكذا أسلوب يتميز بالبساطة عموما ؛
• الحشمة عبر اختيار لباس واسع وطويل، دون إظهار للعنق، وألوان غير شفافة ومحايدة، وخطوط تخفي معالم الجسد ؛
• الانتماء إلى المجموعة عبر استلهام إثني، غني بالألوان والرسوم والرموز، وحياكات تقليدية، وأشكال تتخللها تقاليد اللبس القبلية، الكل ضمن روح تتميز بخيال جامح.

أخيرا، البعد الفلسفي والثقافي وحتى الروحي : فالحايك مرتبط بالمقدس، وهو يحيل إلى اللا مدرك، رغم كونه عنصر إغراء وحتى تخيل. المقدس، وغير المدرك وغير المتوفر، لأن الحايك هو وسيلة لتقديس المرأة، واحترامها سواء في جسدها أو في روحها. الحايك يمنحها حرية العمل والقرار من ذاتها، لأن ما هو مقدس يكون محروسا بواسطة المحظورات وبالتالي فهو معزول. فاحترام الملكية مقدس : الحايك تحمله عموما المرأة المتزوجة، أي التي في ملكية رجل واحد «مْرات الراجل».
من هذه الزاوية، فإن الحايك يؤثر في الملابس ذات الخطوط المنظمة التي تحجب النظرات الفضولية، مع تفاصيل حادة تمنع الذين يريدون الاقتراب منها أو يفكرون في لمسها، ومواد صلبة وغير شفافة، وألوان ناعمة ونادرة، ورسومات تجريدية، إنه أسلوب طليعي.
أما بالنسبة للخيال، فله مكانه عندما نوفر لمخيلتنا حرية الخلق والتصور، حسب منطقها الخاص والغايات التي تمنحها لنفسها. ويساهم فيه لباس ذو الأحجام الفضفاضة، وسمفونية من المخفي والمظهر، وخطوط أحيانا قريبة من الجسم وأحيانا أخرى واسعة، وأثوابا نصف شفافة تخفي بالكاد حبيبات البشرة، وألوان متموجة، كالرمادي الملون وأشكال عارمة نحاول عبرها اكتشاف خطوط وانحناءات الجسد مع الاحتفاظ بمجال خصب للمخيال.
وبوسع حايك يعيد صياغته مبدعو اليوم أو الغد أن يسلك هذا الطريق.
لبس الحايك يؤكد نظرة الإغراء : والنظرة تعكس الروح التي تنبع منها مصادر لا منتهية من التعبيرات. الحايك يحجب الجسد لكنه يظهر ويعطي بالتالي قيمة أكبر للعيون، مما يعطي مخرجا، وحيدا لكن حقيقي، للإغراء المشروع للمرأة.
فهي تجد نفسها بالتالي تعمل على إبراز نظرتها بكل الوسائل المتاحة (كحل، حلي صغيرة تحيط بالعين، ألعاب ظل حول العين) وتعبر بذلك عن أنوثتها.
تؤدي هذه النظرة إلى خلق أغطية للوجه، وقبعات ذات الجوانب النازلة، ونظارات غريبة، وأوشحة ذات ألوان زاهية تُلف حول الوجه لإبراز النظرة كنافذة على الروح.

الحايك كما اعتمدته الخياطة الراقية اليوم

تنويعات عصرية

شـهـادة

فيق فيق

ينحدر من أحفير ويقيم بباريس. إنه فنان عصامي، مكون في فنون الشارع، وخاصة الكرافيتي أو الرسم على الجدران. داخل إبداعاته، يجاور الغريب المفاجئ، وتُستعمل العديد من التقنيات والمواد. تطبع الشاعرية أعماله، سواء كانت متعددة الألوان أو بلون واحد.

فيق فيق أي «أَفِق أفِق» : أريد أن أقول أفِق للفن، ولكن في العالم بأكمله يجب الاستيقاظ. في البداية، لمَّا كنت أنجز فن الشارع، كان إسمي فيقتو (وهو تحريف لأسمي توفيق)، وهو إسم مستعار جاء بشكل عفوي ولم أختره. لقد شاركت في معرض «Entre nous l'Oriental marocain» بمعهد العالم العربي بباريس. الأمر الذي سائلني، اختلاف عملي، الكرافيتي أو فن الشارع، مع أعمال أخرى تركز على التصوير الفوتوغرافي، والإقامة (installation) والصباغة...

هذا العرض، الذي انتقل بعد ذلك إلى وجدة في يوليوز/ غشت 2015، مكنني من التعريف بعملي بالمغرب، وخاصة بجهة الشرق. وهذا النوع من التظاهرات تسمح أيضا بالتقاء وتواصل الفنانين. وبصفتي فنانا مهاجرا، أنحدر من جهة الشرق، كنت مسرورا بمشاركتي في معرض مقدم أيضا في وطني وجهتي.

لقد كانت تجربة مثمرة، وتنوعُ الأعمال المعروضة تثير الاهتمام، مع العديد من التعبيرات التشكيلية. وقد شاركت بثلاث منحوتات. الأولى تمثل وجها أسود من مادة مستخرجة من البترول، مع صبيب صباغة. أما الثانية، فهي علبة صباغة تحت الضغط بصنبور يخرج منه صبيب أخضر على شكل عدد من وجوه الأطفال (وهذا اللون الأخضر هو إشارة للأمل والأطفال هم المستقبل). أما النحت الثالث، من مادة الريزين والفلز المفضض، فهو يمثل خنزيرا.

بالنسبة لي، يمثل معهد العالم العربي انفتاحا على العالم الغربي وعلى ثقافات أخرى... وتعتبر هذه المعارض ذات فائدة بالنسبة للفنان بالرغم من كونه يستثمر وقته وماله.

تمخضت مشاركتي الأخيرة في ڤيلا الفنون بالدار البيضاء مثلا عن مشروع معرض فردي. يعتبر العرض في الأماكن المعروفة، ولا سيما بمعهد العالم العربي، وهو ليس بالأمر الهين، أيضا وسيلة لتقديم مبدعي الجهة، ووسيلة جيدة للحديث عن الجهة وإظهار بأن الفن لا يوجد فقط بمراكش والدار البيضاء. فبمجرد وجود مهاجرين في جهة ما، وهذا حال جهة الشرق، فإنهم يقدمون الكثير، والتعبير التشكيلي والأسلوب يمكن أن يكونا مختلفين جدا. بمعهد العالم العربي، حصلت عن انطباعات إيجابية عن أعمالي، وقد كان بودي أن أعرض إبداعات أخرى للكشف عن فني.

فحسب مكان العرض، فإن التجربة والاتصال مع الزوار تختلف كثيرا. الدار البيضاء عاصمة ثقافية منفتحة على الفن، أما بوجدة، فالجمهور محدود نسبيا : فمن يأتي إلى المعارض هم إما مثقفون أو أصدقاء الفنانين. عالم مصغر ولا نصل إلا لأناس قلائل. بالدار البيضاء، هناك أيضا أجانب يمكن استهدافهم. بفرنسا، من أجل تعبئة وسائل الإعلام واستقطاب المزيد من الناس، نقوم بافتتاح، وباللمسات الأخيرة، ثم افتتاح ثان بالنسبة للغائبين، قبل المعرض.

هذا النقص في الاهتمام يفسر بغياب سوق للفن ولجامعي اللوحات بالجهة. وهنا أيضا الأمر معقد بالنسبة للفنان المهاجر كما هو كذلك بالنسبة لفناني جهة الشرق. الأمر بحاجة إلى شبكة وعلاقات ودعائم... أحيانا لا يستطيع فنانون موهوبون جدا الولوج إلى قاعات العرض بينما يستطيع ذلك بسهولة من هم أقل منهم موهبة. والأمر أكثر صعوبة بوجدة، حيث السوق الفني غائب. ولهذه الغاية، وجب القيام بعروض بالخارج. بالنسبة لي أيضا، حينما أعرض بأوروبا، فالأمور تمر بشكل أفضل.

«أَفِق»، نحت لفيق فيق،
مادة الريزين وصباغة أكريليك،
مقاسات متغيرة،
2015، معهد العالم العربي

شـهـادة

سعيد أفزيوم

بعد دراساته في المعهد التقني بوجدة، ثم بطنجة، لم يغادر الفنان مسقط رأسه الناظور، حيث يعيش ويشتغل. تعطي تشكيلاته هوية جديدة للأشياء التي يعرضها في عالم خيالي تلفه مسحة ساخرة.

شاركت في معرض «Les chemins du sacré» في إطار معرض «Trésors de l'Islam en Afrique». وموضوع المقدس مهم جدا، فهو يلمس تاريخ الشعوب، وتاريخ الحضارات. وهناك أيضا تلك الآصرة بين المغرب وإفريقيا. وقد لامسَت بعض الأعمال الموضوع، بينما ظلت أخرى بعيدة نسبيا عنه. بالنسبة لي المقدس ينبغي أن نستطيع أن نرمز إليه ولذلك فقد اخترت الاشتغال بـ «يد فاطمة». وهذا الرمز معروف ونجده في الصناعة التقليدية وفي الحلي، الخ.

لقد سبق لي أن عرضت «يد فاطمة» بوجدة في حديقة للا مريم حيث البيئة مختلفة جدا وكذا الحامل. وهناك أيضا إضافة اللون الأخضر طيلة سينوغرافية هذا العرض، وهو تذكير بالمقدس في مواجهة أبيض الأيدي الذي يلازمني دائما. وقد ضمت الإقامة (installation) مائة من أيادي فاطمة، كل واحدة منها في وضع مختلف.

لقد سبقت اليد يد فاطمة : إنها عنصر رمزي أشتغل عليه. لماذا اليد ؟ يعود الأمر إلى طفولتي ولكنه أيضا مرتبط بعلاقتي مع أبي، ونزاعاتنا وخاصة في ما يتعلق بولعي بالإبداع، ولكن أيضا بعمله كتاجر. في البداية، كانت اليد بالنسبة لي نوعا من السلعة لكنها أصبحت، بعد ذلك، كتابة، وتوقيعي الشخصي.

لقد تجسدت، فهي أحيانا مفتوحة، وأحيانا مطوية، أو مكسرة. إنها كائن ينمو معي كتمثلي للأوزان المستعملة كثقل مقابل للوزن، إنها محاولة لتخفيف ثقل الحياة هذا. يعتبر هذا المعرض بالنسبة لي حدثا هاما جدا. والاشتغال على مواضيع مماثلة هو أيضا أمر حاسم، لأن العرض لم يعد يهم موضوعا محليا : هناك ضرورة كونية تفرض نفسها.

كان يجب تنظيم لقاءات بين الفنانين لتقاسم تجاربهم ومقارباتهم. يعتبر العرض في بيئة مختلفة ضروري لتجديد حيوية الفنان وتغيير أفكاره. فالفنان لو انعزل، لا يمكنه أن ينتج. والفن، ولو اضطر إلى حمل هوية، ملزم أيضا بالكونية.

بالمغرب، هناك مشكل مع الجمهور بخصوص الفن المعاصر. بباريس، كان الوقع واضحا والجمهور هام. كان هناك أصحاب أروقة عرض ومنشطين وهواة فن وسياح. آسف قليلا على كون المسار مزج بين الأعمال الفنية وقطع تراثية هامة : هذا الخلط بين الفنون والتراث لم يبدو لي الخيار الأمثل. يحتاج الفنان إلى الأكسيجين : فهو يختنق اليوم رغم الجهود المبذولة. نحن نفتقر إلى معارض وأروقة، ولا نتوفر على أرباب أروقة بلغوا الحيوية التي نصبو إليها. وعلى الأحداث الفنية أن تتضاعف أكثر لتنمية جهتنا.

إن الأشياء الملموسة هي التي تؤثر على أصحاب القرار وبالتالي على الاقتصاد. للرفع من الجودة، ينبغي مضاعفة إقامات الفنانين، ومزيد من التعبئة لكي تكون الجمعيات مرئية أكثر. وأخيرا، إلى جانب العمل الفني، أصبح العمل النظري يفرض نفسه. فالأعمال الفنية لا معنى لها لو لم نستطع إكمالها بمحاضرات ونقاشات وتكوينات. وغاية كل هذا واحدة : تقييم الفن والعمل الفني وإعطاء الإبداع قيمته الحقيقية. وعلى الفاعلين المحليين أن يكونوا واعين بأهمية هذا المجال في التنمية الاجتماعية والبشرية والاقتصادية.

تزخر جهة الشرق بالمواهب ولدينا العديد من الأوراق الرابحة بالمقارنة مع جهات أخرى، وكذا هوية فنية وبصرية. ويشتغل فنانو جهة الشرق على العديد من المواد ويركبون العديد من الإقامات.

«يد فاطمة»،
إقامة لسعيد أفزيوم،
جبص وإسمنت أبيض، مقاسات متغيرة،
2017، معهد العالم العربي

نظرة نقدية شاملة لقرابة 100 سنة من التاريخ

إدريس الرحاوي
مسؤول أروقة العروض الفنية لوجدة
وزارة الثقافة والاتصال

لم يكن للكاتب أن يغادر مسقط رأسه جرادة إلا ليحصل على تكوين في الفنون الجميلة بتطوان وتجربة بالدار البيضاء. ورغم تكليفه بمسؤولية فضاءات العرض الجديدة لوجدة، فهو يواصل عمله الإبداعي القوي. ونضاله وموقعه يجعلانه يمتلك نظرة خبيرة حول الحياة الفنية للجهة.

ترجع بداية تاريخ الفن التشكيلي بوجدة إلى قرابة قرن من الزمن. وقد كانت وجدة دوما في طليعة المدن المغربية، وهذا راجع جزئيا للتواجد الفرنسي. وفي سنة 1913، فكرت السلطات المحلية في إنشاء ناد للفنون الجميلة، ليؤسس سنة 1927، قبل أن ينصهر سنة 1936 مع نشاطات أخرى ضمن مدرسة الموسيقى والفنون التشكيلية. وقد شملت هذه المؤسسة متعددة الاهتمامات منذ البداية الصباغة، النحت، الرسم والدراما. وقد كانت مهمتها الأولى التدريس وإشاعة الفن بين الطبقات المحرومة.

كان المجتمع المدني نشيطا جدا، فمنذ الثلاثينات، أنشئت أول جمعية للفنانين الرسامين لجهة الشرق بوجدة والتي ساهمت في تنمية الفنون التشكيلية عبر تنظيم العديد من العروض لفنانين كبار كمعرض شكيب بلكاسم سنة 1964. وقد نتج عن هذه الدينامية الفنية إنشاء جمعيات أخرى، ومنها جمعية الفنون التشكيلية للمغرب الشرقي التي أسسها الفنان عزيز بنيونس، وجمعيتي جماعة المتحف وجذور.

المبادرات التي أعطت الانطلاقة للحداثة

بعد الخطاب الملكي لسنة 2003، ستشهد مدينة وجدة تحولا كبيرا في الحقل الثقافي وسترى النور مشاريع كبرى، كالمركز الثقافي ورواقَيْ العرض الفني ومسرح محمد السادس.

موازاة مع إنشاء هذه الفضاءات الجديدة المخصصة للفن، سيصبح العمل الجمعوي هاما جدا وستنتعش الساحة الفنية بأحداث جديدة عديدة.

في أكتوبر 2011، تم تعييني مسؤولا عن رواقَي العرض المخصص للمديرية الجهوية للثقافة بوجدة : رواق مولاي الحسن ورواق المغرب العربي، اللذان دشنا منذ سنة 2008. وقد تكفلت جمعية شبكة الفن بافتتاحها بتنظيم معرضين : الأول بإسم «إلتقائية»، مخصص للفنانين المهاجرين المنحدرين من جهة الشرق، والثاني مخصص للفنانين المحليين. قبل ذلك، كان النشاط مقتصرا على المعهد الفرنسي لوجدة، حيث كانت تَنْشُط جمعية جذور الفنية.

عايشت جيدا هذه الفترة بحكم نشاطي داخل جمعية شبكة الفن. فلقد مثل التكفل برواقَي العرض لوجدة مسؤولية جسيمة، لأنهما لم يكونا مخصصين بشكل كامل للفنون التشكيلية : لقد كان بالإمكان عرض كل شيء دون انتقاء حقيقي (قفاطين، أزياء تقليدية، صناعة تقليدية، منتجات مجالية...).

بدى لي ضروريا في البداية تخصيص هذين الرواقين وتنظيم برمجتهما السنوية للرفع من مستوى العروض. وقد خصص رواق مولاي الحسن للعروض الكبرى، الفردية أو الجماعية، لفنانين معروفين. أما رواق المغرب العربي، فقد يُخصص للفنانين الهواة من أجل فتح المجال أمامهم.

خلال السنتين الأولتين، استطعنا بمساعدة الجمعيات إعداد برمجة جميلة سنوية بدون انقطاع.
إلا أنه، مع الأسف، تم، سنة 2013، إقفال رواق المغرب العربي لكي يحول إلى مركز يعنى بالتراث، وهو نشاط لم يفعل بعد إلى يومنا هذا. وقد أحدث هذا التوقف ضغطا كبيرا على رواق مولاي الحسن، وهو أمر مؤسف سواء بالنسبة للفنانين أو بالنسبة للهواة الذين أصبحوا لا يجدون موقعا لهم على الساحة الفنية. ويعتبر افتتاح رواق مسرح محمد السادس سنة 2014 نقطة إيجابية، لكن موقعه غير موضح بصورة جيدة ولا يعرفه سوى الفنانين وأصدقائهم. كما أن وضعه في الطابق يجعل الولوج إليه معقدا بالنسبة للجمهور العريض.

الملتقيات والمعارض تمكن من تطوير الفنانين

خلال السنوات العشر الأخيرة، قطعت أشواط كبيرة في ميدان الفن التشكيلي، الذي نشأ وكبر عبر الملتقيات. في سنة 2012، دعت جمعية شبكة الفن ميشال ديموت (Michèle Desmottes)، وهي حينها رئيسة تحرير مجلة Maroc Premium، والفنان مصطفى رملي، مدير مركز الفن المعاصر «إفتري» ومدير بيينال الدار البيضاء، والذي ينحدر من تويسيت بجهة الشرق.

رأى النور مشروع للإقامة (résidence) بـ«إفتري» بناء على اقتراحه، والتي استفاد منه عدد من الفنانين أمثال جواد مباركي وسعيد أفزيوم والبكاي مكاوي ونور الدين مدران ومحمد بنحمزة وعز الدين عبد الوهابي وأنا أيضا. وقد كانت هذه التجربة مفيدة جدا. وبفضل تأطير مصطفى رملي، عرف عمل الفنانين تحسنا كما تأثرت بقوة منهجية عملهم.

«العالم العربي ؟»، مشروع تلبيس رواق مولاي الحسن بوجدة بأعلام مطبوعة بمناسبة حدث «وجدة، عاصمة الثقافة العربية»، إدريس الرحاوي، وجدة، 2018

هذا ناتج عن الظروف العملية ولكن أيضا عن محيط هذه الإقامة : فضاء جميل وواسع يسهل التبادل بين الفنانين. وقد شكل تواتر مهرجانات الفن المعاصر Orienta، المسمى Orient'art express خلال دوراته الخمس السابقة، نقط القوة. مكن حضور فنانين مشهورين عالميا من تطوير الكفاءات الفنية، وكذا توالي مندوبي المعارض : فقد قدم كل واحد نظرته والتزم بمواصلة عمل سابقه.
بفضل Orienta، تنامت مهنية الفنانين واكتسبوا منهجية عمل معاصرة. وقد كانت هناك مرحلة أخرى مهمة : الفن المعاصر، وهو معرض جماعي بحديقة هيلتون حيث نشطت العديد من الإقامات هذا الفضاء. وقد شارك فيه ثلاثة فنانين من جهة الشرق.
عرف الفن بجهة الشرق مزيدا من النضج، كما أن التظاهرات تساعد على التعريف به وجعله حاضرا على الساحة الفنية وبوسائل الإعلام.
هكذا، اكتسب الفن بالجهة هوية : لقد أصبحنا بالتالي معروفين بكوننا مجددين في مجال الإقامات وفي العمل كثيرا في مجال الفن المعاصر.

مدخل رواق المغرب العربي للفن بوجدة

وجدة جزء من تاريخ الفن المغربي. واليوم، فإن العمل ليس فقط عمل مبدعين يعبرون عن أنفسهم. إنه عمل فنانين يرغبون في كتابة تاريخ الفن ودخوله.

العرض في أماكن أخرى، مرحلة ضرورية

بفضل دعم وكالة جهة الشرق، أصبح العرض خارج البلاد ممكنا لفناني جهة الشرق. وقد شاركنا في أحداث كبيرة جدا بمعهد العالم العربي، وفي بيينال الدار البيضاء، أو أيضا بمعرض «Saint-Josse Place pour Tous».

يسمح العرض في محيط آخر للفنان بالتعرف على موقعه وعلى جمهور جديد، ومن تقييم نفسه ومن النقد الذاتي.

والالتقاء بالفنانين الآخرين هام جدا أيضا : إنه يؤثر علينا بطريقة أو أخرى.

بالنسبة لجهة الشرق، إنه ترويج من الأعلى، نوع من الدبلوماسية الثقافية ترقى بالجهة في عيون أرباب القرار الأجانب.

يعرض الفنان فكرة قد تكون مرتبطة بسياق محدد، وقد يستمر أيضا في جغرافية أخرى إلى جانب فنانين آخرين، لأن الفن، في نهاية الأمر، هو أولا صناعة جديدة وتشكيل جديد لما هو موجود سابقا. فمثلا، مشاركتي بسان-جوس، «Longue Agonie»، كانت استمرارية لأبحاث بدأتها في جرادة مع الفنان فريديريك فوردينيي. لقد كان عملا غير مألوف بالنسبة لنا نحن الإثنين، ولو أن موضوعنا الأساسي كان دائما منجم جرادة. إن التجربة هنا كانت مختلفة : لقد أطرنا تلاميذ من مدرسة العرفان بجرادة، وبعد أن عرضت أعمالهم بالمركز الثقافي لجرادة، تم تقديمها بأكاديمية الفنون الجميلة لسان-جوس. وهذا العمل نشأ من مشكل محلي ولكنه وجد مكانه ببلجيكا، التي اشتكت من نفس العلة.

إن مشاركتي بمعهد العالم العربي في معرض «Le Maroc Contemporain» تندرج أيضا في هذا السياق. وقد سميت قطعتي «29 أكتوبر 1982». وهذا العمل ينهل من جرادة ولكن تم تثمينه أكثر بباريس منه بوجدة، لا سيما وأن إقامتي (installation) تم تجسيدها تماما كما تصورتها. لقد كان هناك تجاوب وتفاعل رائعين مع الجمهور ونقاد الفن : وقد كان الصدى واضحا وبصفتي فنانا، فقد شعرت حقا بالتقدير والاحترام.

لقد تطورنا بفضل العروض التي أقيمت بوجدة وخاصة برواق مولاي الحسن، ولكن هناك عمل كثير ينبغي القيام به، وخاصة في الجانب التواصلي. نحن لا نستطيع حتى الآن استهداف جمهور مهتم وعارف. يشتكي غالبية الفنانين من سوق الفن، لأنه تقريبا غائب، ولكن ينبغي إدراك كيفية استقطاب الجمهور. وقد دل المعرض الأخير بفندق تيرمينوس في ماي - يونيو 2018، بأن هناك جامعو لوحات وأشخاص قادرين على اقتناء الأعمال الفنية شريطة حثهم وإثارة اهتمامهم.

لو كان سوق الفن متطورا، لكان وضع الفنان أحسن، ولكن بأي أثر على الجودة ؟ الأمر معقد في مجال الفن، لأنه يمكن أن نسقط بسهولة في لعبة التجارة. غير أن الفنان بحاجة للعيش الكريم وينبغي أن يكون محفزا ومشجعا.

شروط الانبعاث تمر عبر القطاع الخاص

عندما تكون الوسائل متوفرة، تكون للفنان حرية أكبر في إنتاج عمله. اليوم، نجد الكثير من الأفكار المجهضة. لا يمكننا أن نعتمد دائما على دعم المؤسسات : فتدخل المؤسسات الخصوصية ووكلاء الفنانين ضرورية. وهكذا، لا زلنا نفتقر إلى أروقة بوجدة ووكلاء فنانين. الفنان يعمل لوحده ولا ينبغي أن يستمر الأمر هكذا، فالفنان لا ينبغي أن ينتج ويخزن في بيته.

لا يمكن للتنمية المستدامة للجهة أن تتم دون فن. والمثال الأكثر وضوحا هو الهندسة المعمارية : فتنمية مدن جهة الشرق تتم بدون فنانين والفن غير مدمج في تهيئة فضاءاتنا.

هناك مشاريع مميزة تنجز بمدننا دون اللجوء إلى الفنانين، في حين أن الجهة تتوفر على مؤهلات فنية وثقافية هامة. نحن لا نغرف بالقدر الكافي من تراث الجهة المادي واللامادي. وليست الفنون التشكيلية وحدها التي تشكل مجالا للإلهام، لأن لنا تاريخا فنيا عريقا وغاية في التنوع، لا نقوم باستغلاله إلى غاية اللحظة.

إن الموقع الجغرافي لوجدة جد مشجع ويمنح لهذه المدينة انفتاحا على البحر الأبيض المتوسط وفرنسا وإسبانيا والجزائر والصحراء : ويعد هذا الموقع مصدر تنوع التأثيرات الفنية. وجهة الشرق هي أول جهة بالمغرب من حيث عدد المهاجرين ويعتبر المغاربة المقيمين بالخارج مصدر غنى كبير : فهم لا يعيشون ولا يفكرون انطلاقا من بلد واحد، فالمستهدفون بأعمالهم هم مختلفون، مما ينوع الثقافات والأهداف.

تعد وجدة جزءا من تاريخ الفن المغربي. والعمل، اليوم، ليس فقط عمل مبدعين يعبرون عن أنفسهم. إنه عمل فنانين يرغبون في عرض تاريخ الفن وولوجه. ورغم كل الصعوبات، فقد استطعنا تسجيل أسماءنا في تاريخ الفن.

نهج مبني على التنمية الجهوية المستدامة

بوجدة، تدمج الأحداث الفضاءات المختلفة، كحديقة للا مريم وثانوية عمر بن عبد العزيز المأوية، ومؤسسة مولاي سليمان... كما تخلق المعارض، كمعرض Orienta، مسارات بالمدينة وأيضا بالجهة لأن المنظمين يوسعون نشاطهم نحو مناطقنا بجرادة وفجيج والناظور... كما أننا نفخر بكوننا استقبلنا عددا من الأعمال الهامة جدا : ريشار لونج (Richard Long)، بروس نيومن (Bruce Newman)، منير الفاطمي والمليحي...

«احتضار طويل»، إدريس الرحاوي، صندوق مضيء وصور بالأشعة، 2016، أكاديمية الفنون الجميلة، سان-جوس

كنا الأوائل في إفريقيا في عرض بولتانسكي (Boltanski). وأصبحت الأحداث أكثر كثافة وتكرارا مع مرور الوقت : مهرجان الفن المعاصر وآرت-رمال وأقباس والموكب الأدبي وفن بلغة المؤنث... علينا أن نستفيد إلى أقصى حد من التجهيزات الجديدة، ولو أن تدبير العقار يبقى إشكاليا. نحن نتوفر على فضاءات جديدة، كمسرح محمد السادس والمركز الثقافي... ولكنها ليست مصانة بالشكل اللائق، فهناك نقص في الموارد البشرية من أجل تسييرها بشكل جيد، والأمر يعود في جزء منه لضعف التكوين في المجال الثقافي. بهذا المعنى، فإن إدماج الإطار الجامعي ضروري. ونحن نحتاج إلى التزامه على شكل تكوينات وإجازات مهنية تستهدف الفنون من أجل تأطير المواهب الشابة، فطلاب الفنون التطبيقية يجدون أنفسهم تائهين بعد حصولهم على شهادة الباكالوريا. ووجدة تستحق أن تتوفر على مدرستها للفنون الجميلة، وعلى نادي الفنون الجميلة أن ينهض من جديد وأن تكون الجامعة أكثر تواجدا خلال التظاهرات الثقافية : فكل معرض ينبغي أن تليه محاضرة ومائدة مستديرة ولما لا إصدار كتاب.

الفنون تشير إلى المستوى الحضاري والثقافي للمجال الترابي

سامح درويش
شاعر من أتباع الهايكو
كاتب ومنشط ثقافي جمعوي

ينشط الشاعر بكفايت «نادي الضفادع»، الشهير بنضاله الفني. وقد استطاع لكونه من رواد التمازج الفني، أن يجمع بين شعره والصباغة والإقامة والتصوير الفوتوغرافي... نظرته للفنون بجهة الشرق هي في آن واحد واقعية وطموحة.

شاركت سنة 2015 في معرض «Entre nous, Etre nous l'Oriental Marocain» بمعهد العالم العربي عبر قراءات شعرية مصورة. إن الفنون أسرة واحدة، والشعر بالنسبة لي هو الفن الذي يقترب أكثر من الفنون المرئية. خلال مساري بصفتي شاعرا، كنت دوما قريبا جدا من الحركة الفنية وخاصة من الفنون التشكيلية. وقد أثر ذلك دون شك في طريقة عملي، والعكس صحيح لأن طريقة عملي استطاعت أن تؤثر في بعض الفنانين.

تجربة التعاون بين الفنانين والتخصصات الفنية

شاركت في العديد من التعاونات مع رسامين ومصورين فوتوغرافيين، مثل «المعلقات» للفنان الفلسطيني اليزيد خرباش. وهذا العمل الذي يتوفر على بعد شعري، هو عمل تشكيلي محض حيث التأثير الشعري متميز، أولا بواسطة العنوان، الذي يحيل إلى الشاعر العربي الكبير المتنبي، وأيضا بواسطة الروح التي تنبع من هذا العمل.

سامح درويش في إحدى ندوات المعرض المغاربي للكتاب، دورة 2017

نفس الشيء بالنسبة للتجربة الفنية «سري»، حيث تم استغلال قصيدة شعرية لغاية فنية : في هذه القطعة، كان التعاون مباشرا أكثر، لأن الأمر يتعلق بديوان شعر يقرأ عبر الكلمات وعبر الإشارات أيضا. وأخيرا سلسلة الهايكو، لنفس الشاعر، بالإحالة إلى هذا الشكل الشعري حيث كانت أعمالي الشعرية مصحوبة بلوحات مصورة. هذا النوع من التبادل وإعادة التملك بين الفنانين التشكيليين والشعراء هي تجربة خاصة بجهة الشرق، على غرار التعاون بين الشاعر والكاتب نجمي والرسام القاسمي.

هناك تجارب أخرى عديدة ومختلفة، مثل التجربة التي حصلت خلال الدورة الثانية لـ Orienta بمشاركة ستيفاني بيكان وأوليفيي دوروسو وإيزابيل كريسيي، عبر قطعتهم «والأرض تُنقل كاللغة» لمحمود درويش، التي كانت ضمن مسار فني في إطار معرض «في زاوية الممكن». لقد كانت هناك أيضا أشعار مخطوطة يدويا من طرف الفنان حمامي، والتي نشطت فضاء ثانوية عمر بن عبد العزيز وأزقة المدينة العتيقة. وهذا النوع من الأعمال يدعم الأواصر بين الفنانين بمختلف تخصصاتهم. وقد دفعتنا إلى تعميق التفكير وإلى تصور حدث يجمع بين الشعر والفنون المرئية : وهكذا نشأت أقباس، وهو لقاء فني تشكيلي يعمل فيه أديب جنبا إلى جنب مع فنان تشكيلي.

في سنة 2016، شاركت في حدث سان-جوس بصفتي شاعرا أولا، وأيضا إلى جانب فنانين كباهي رحال، وهو مصور واليزيد خرباش، الفنان التشكيلي. وقد حمل عملنا عنوان «قطاف» وكان يمثل شكل شجرة علقت عليها العديد من الخرائط تحمل كل واحدة منها قصيدة هايكو، مع لوحة زيتية وصورة فوتوغرافية، بوسع الزائر أن يأخذها، أو يقطفها أو يقرأها. تم إنجاز نفس العمل بكفايت. وقد كانت الإقامة مصحوبة بشريط فيديو صوِّر بكفايت، حيث كنت أقرأ هذه الأشعار. لقد كان عملا رمزيا حيث حاولنا تشكيل رابط بين هاتين الجماعتين عبر الشعر والرسم والتصوير الفوتوغرافي. والحدث في شموليته كان يبحث عن تسطير هذا الرابط والعديد من الفضاءات بالمدينة كانت تحتفي بالفن وجهة الشرق. وقد تم إنجاز إقامات عديدة في هذا الإطار. وتعكس كل هذه التعبيرات التشكيلية نضج تجاربنا الفنية بجهة الشرق كما أعطت صورة جميلة عن جهتنا.

بالإمكان بلوغ الكونية انطلاقا من المحلية

كان لقراءاتي الشعرية تفاعل قوي مع الجمهور. فقراءتي والترجمة التي تلتها مكنت المتفرجين من الوعي بالخطابات المحمولة، وخاصة أن أغلبية أشعار الهايكو هذه تحتفي بكفايت. أظن أنه يمكن أن نصل إلى الكوني عبر المحلي : فهناك رابط بين الاثنين وهذا هو الشكل الذي ينبغي أن يهيأ به العمل. ولكن ينبغي أيضا إتباع الاتجاهات الفنية. ومثلا، فإن الهايكو، وهو الجنس الذي تخصصت فيه، هو شكل شعري ياباني في الأصل ثم أصبح كونيا. وقد أصبح ينتشر أكثر فأكثر عالميا وذلك ناتج دون شك عن شكله الذي يلتصق بالمستجدات.

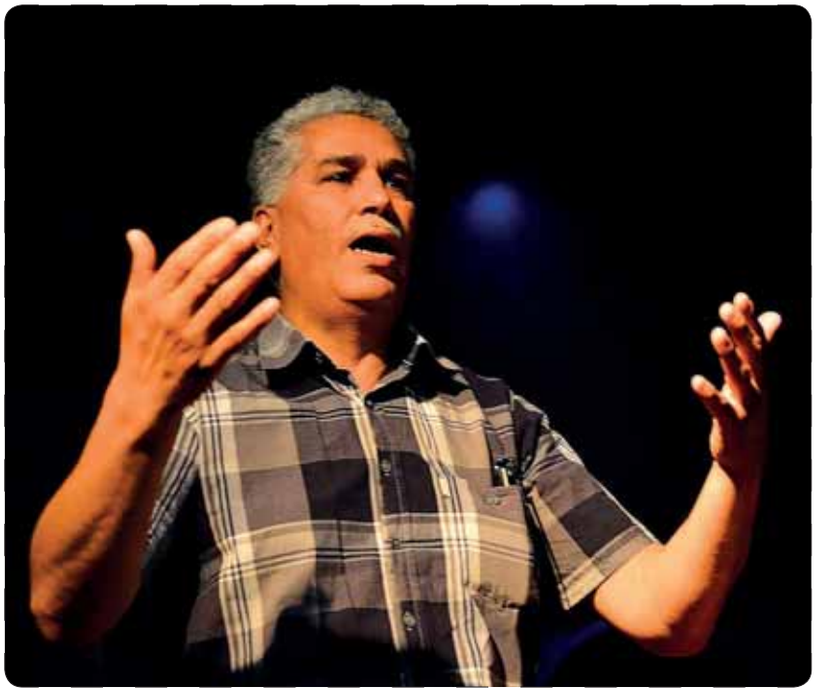

لم يعد لنا الوقت لقصائد شعرية طويلة، من قبيل المعلقات مع عدد من الأبيات لا نهاية لها. والشكل القصير للهايكو يساعد على ذلك دون أن ينقص من المعنى. إنها أشعار تحتفي بالطبيعة وأبعد من ذلك، فالهايكو هو أيضا بالنسبة لي تطور شخصي في شعري.

أنا على يقين بأن الدبلوماسية الثقافية لها أهمية بالغة في ترويج صورة البلاد وجهة الشرق بشكل خاص. لذا، فإن الاستثمار في هذا الميدان ينبغي أن يكون في المستوى اللائق. فالفنون لا تنقل فقط الخطابات، بل تقدم صورة ومؤشرا حول المستوى الحضاري وكذا الثقافي. يسمح هذا النوع من الأحداث الثقافية بالتبادل بين مختلف التجارب الفنية : إنها نوع من الجسر بين المجالات، الذي يعزز الروابط ويؤدي إلى خلق تظاهرات أخرى، أحيانا من نوع آخر. ولكي يكون الوقع أقوى، فعليه أن يمتد في الزمن، بتدخل العديد من الهيئات المغربية النشيطة بالخارج.

> *تعكس التعبيرات التشكيلية نضج تجربتنا الفنية بجهة الشرق وتعطي صورة جميلة عن جهتنا.*

في معهد العالم العربي، كان بالإمكان استهداف عدد أكبر من المشاهدين لو استمر المعرض لفترة أطول.

لا ينبغي أن تظل هذه التظاهرات منعزلة : ينبغي ضمان الاستمرارية. وينبغي التحكم في الرؤية الشمولية للحدث لبلوغ النضج الفني المرجو.

بسان-جوس، جزء كبير من زوار المعرض كانوا مغاربة، مما يؤكد على روح الانتماء السائدة. ويعتبر الحدث تكريما لجهة الشرق، وخلال العمليات المختلفة، كان هناك حضور للمهاجرين. بالطبع، فإن درجة حساسية المشاهدين تختلف حسب ثقافتهم، لكن عملا ناجحا بوسعه أن يقنع الجميع. وأظن أنه خلال هذا المعرض، كان مستوى الأعمال مثيرا للاهتمام وأثار إعجاب الزائرين.

> *إن الفنان قادر على تحويل النظرة السائدة حول الجهة.*

مكن ذلك أيضا من انفتاح على المغرب بالنسبة للأشخاص الذين لا يعرفون البلاد.

تغيير نظرة الآخر حول المجال الترابي

ينبغي على الفاعلين وأرباب القرار أن يعوا قوة الفنان. عليهم أن يضعوا ثقتهم فيه لكي يستطيع تمثيل بلاده. وعليهم أن يثمنوا ما يقوم به ويظهروا أن عمله بإمكانه أن يغير نظرة الآخر حول الجهة أو المملكة. خلال مشاركاتي، لاحظت إلى أي حد يمثل الفنان مفتاح هذه التظاهرات. غير أنه رغم الجهود الكبيرة المبذولة من أجل نقل وإقامة الفنانين، فإنها تظل دون المستوى المطلوب لتعويضهم بشكل مقبول. أعلم أن المسألة حساسة، ولكن علينا أن نستشعر المجهود الذي يقوم به الفنان. علينا أيضا تثمين عمله كي يستطيع الاستمرار في الإنتاج، لأن أي خبرة مهما كانت لا يمكن أن تكون مجانية.

على الثقافة أن تكون مرتبطة بالتنمية الجهوية وفي المقابل، لا يمكن أن يحصل أي تقدم إذا تم تهميش الثقافة، لأن هذه الأخيرة غير قابلة للاستنساخ من تجارب أخرى.

الثقافة هي كل ما يربط بيننا كشعب وهي قادرة على أن تكون محركا للتنمية، فلنا ثروة ثقافية وتنوع للأشكال الفنية للتعبير عنها : علينا أن نستمر في العمل وفي تطوير هذا الميدان، فهناك العديد من الأشكال الفنية التي لم نتطرق لها بعد. وتتوفر جهة الشرق على مؤهلات ثقافية فنية جد متنوعة.

فعلى سبيل المثال دارجتنا الوجدية : إنها اليوم غائبة عن المشهد السمعي البصري وليس هناك أي دعم لإنجاز إنتاجات تستعمل هذه الدارجة. فبدون سينما أو تلفزيون، لا يمكن أن نتقدم.

كما أن هناك غياب لدار نشر خاصة : فكيف نتطور لو لم نتوفر على المكونات الأساسية للتعريف إعلاميا بجهتنا ؟ لا يمكن أن نبلغ هذا النموذج التنموي دون الاستثمار في هذه الميادين لأن الإنسان في صميم الثقافة وكذا التنمية، وعليه أن يشارك في تطوير محيطه.

الاستثمار في الثقافة من أجل المساهمة في التنمية

انطلاقا من هذه القناعة جاءت فكرة الموكب الأدبي. لقد أردنا الاستثمار في الثقافة واستعمالها للتنمية المحلية.
في هذا الاتجاه، تحاول جمعية ثقافة وتنمية لكفايت استغلال المؤهلات الثقافية المحلية، التشكيلية منها، والأدبية، والشعرية.

منذ بضع سنوات، قدمنا عبر هذا الحدث عددا هاما من الكتاب والفنانين ينتمون لجهة الشرق. ويشمل الحدث عروضا فنية. في بعض الدورات، كنا نضع أعمال فنانين تشكيليين على غلاف الكتب المنشورة.
الموكب الأدبي، كما يدل على ذلك اسمه، هو قافلة من الأشخاص قادمين من المدن المغربية وكذلك من باقي العالم، يذهبون من وجدة إلى كفايت للاحتفاء بالفن والأدب عبر المعارض والكتب.

بكفايت، تنجز كل دورة نحتا ضخما. هكذا، فإن مشروعنا يقرأ على المدى الطويل، لأن تجميع التجارب يعتبر هاما ونطمح إلى إقامة متحف في العراء حيث يقوم الزوار في إطار هذا المشهد الطبيعي الرائع، بالاستمتاع بالنحوتات المنجزة.
كما نحاول أيضا تحسيس الفاعلين بمسألة إنتاج ونشر الكتاب.
لهذه الغاية، تدعى وسائل الإعلام وتتحدث تقارير في الصحافة المكتوبة والرقمية والتلفزيونية والإذاعية عن الحدث : وهم يقدمون الجهة وأنشطتها الثقافية.

يعتبر الكتاب أفضل وسيلة لتثمين الجهة، لأنه يتميز بالديمومة، وفكرة التوفر على منشورات قادمة من هذا المصدر الجغرافي لها فائدة كبيرة.
بالنسبة لي، المهم هو أيضا أن الجزء الأكبر يتم بكفايت، بهذه القرية الواحة، عبر قراءات شعرية أو قراءات لمقتطفات كتب منشورة. وهذا المشروع هو أيضا مرتبط بالتنمية السياحية : فكفايت معروفة بـ «تجوال الينابيع العشرين». نتمنى أن تصبح أيضا وجهة ثقافية عبر عشرين نحتا. نحتاج اليوم لربط الثقافة بالفن بواسطة مشاريع ملموسة. لقد دعمت وكالة جهة الشرق دوما هذه النظرة وتظل شريكنا الأساسي : وعلينا أن نحيي بهذا الخصوص كون الوكالة آمنت بقوة بهذه المشاريع. وعلى أرباب القرار أن يكونوا واعين بأهمية الاستثمار في الثقافة، علما بأن الوضعية الحالية للفنان تثير القلق لأنه ما زال مهمشا ومستخفا به.

تكللت عدة تجارب فنية بجهة الشرق أو بالخارج بالنجاح، لكنها تظل مجهولة. علينا أن نثمن هذا المجال بكل أشكال تعبيراته، وخاصة الموسيقى والفنون المرئية والسينما والكتاب والرقص.

الشاعر سامح درويش
خلال مهرجان Orienta

شـهـادة

فريديريك فوردينيي

المجال الترابي والعناصر التي تكونه هي أساس المنهجية الفنية للمبدع. والتفاعلات البشرية مع مختلف البيئات هي أساس إبداعات غالبا ما تكون مبسطة، وفي حدها الأدنى ومطهرة، إشارة إلى المراقبة والتحكم.

شاركت في أكتوبر 2016 في معرض «Parcours Oriental» في إطار حدث «Saint-Josse Place pour Tous»، قرب بروكسيل، حيث تم الاحتفاء بجهة الشرق عبر العديد من التظاهرات الفنية. مشاركتي كانت بهدف التعبير وإظهار خبرتي في جهة الشرق وفي إقليم جرادة خاصة، خلال إقامتي في إطار الدورة السادسة لمهرجان الفن المعاصر Orienta، المسماة «A l'angle des possibles».

أُحدِث العمل الذي قدمتُه خلال هذه الدورة بوجدة. فلقد كان بالنسبة لي نظرة حول مدينة جرادة ونواحيها، المدينة المنجمية القديمة التي تأثرت بشدة جراء توقف نشاطها الرئيسي، إن لم يكن الوحيد. وقد كانت رغبتي طرح إشكاليات هذه المنطقة التي عرفت تحولات عميقة وصدمات قوية.

يرتكز عملي على مفهوم التراب وعلى علاقة الإنسان ببيئته. وخلال إقامتي في وجدة، أمكن لي ملاحظة أن بعض الفنانين يتبعون منهجية مماثلة، لكن بوجهات نظر وتقنيات تشكيلية أخرى، مما يمكن من ربط مختلف المواضيع حول نفس الموضوع العام.

ما يجري بجهة الشرق المغربي مثير للاهتمام. فأشياء كثيرة بدأت تظهر وتشهد عن رغبة وصرامة فنية واضحة.

إن الجيل الجديد يتغذى أكثر فأكثر من الفن المعاصر بفضل التظاهرات الثقافية ذات الطابع الدولي التي ترى النور وأحيانا تنمو تدريجيا في هذه المنطقة المغربية، وخاصة حينما تصبح متكررة. في المقابل، يمكن أن أقول بأن هناك نقص هام في وسائل دعم هذه الإبداعات بصورة ملموسة، في حين يبدو أن الوسائل المالية متوفرة بالنسبة للثقافة، لكن رصدها يبدو، ثقافيا وسياسيا، أمرا صعبا لمثل هذه التظاهرات الفنية.

كانت تجربتي بوجدة وجرادة من بين التجارب الأكثر إفادة. لقد منحتني الرغبة في تعميق أبحاثي حول هذه الجهة المغربية وأظن أن إمكانية عرض العمل المنجز في بلد آخر غير المغرب، كما جرى ذلك ببلجيكا، هي وسيلة جيدة للتواصل حول مواضيع لا توليها وسائل الإعلام الاهتمام بالضرورة.

فيما يخص الزوار، فإن الفائدة التي يمكن أن أشير إليها هو التبادل الذي كان لي مع الأشخاص الذين حضروا عرضي والذي كان إيجابيا، مع اهتمام حقيقي وأسئلة عديدة. إنه من الصعب تقييم هذا النوع من التظاهرات الثقافية، وخاصة حينما تصعب معرفة الأثر المباشر، لكني أرى على كل حال بأن إعدادا أحسن لتنفيذ الحدث في العالية، وخاصة بواسطة التواصل، كان بوسعه أن يكون أكثر نفعا للمعرض.

«Metastability-Jerada»
إقامة لفريديريك فوردينيي،
مزيج ميديا، إضاءة نيون-
طباعة رقمية- خشب، مقاسات
متغيرة، 2016، أكاديمية
الفنون الجميلة، سان-جوس

شـهـادة

دليلة العلوي

دليلة فنانة من الجالية المهاجرة. وهي تحمل إشكاليات وقتها وتغتني بانتمائها المزدوج.
وقد تعبأت بصورة قوية في قضايا الجهة، وخاصة لصالح نساء... جهة الشرق ومناطق أخرى.

أنا فنانة تشكيلية فرنسية-مغربية ترتبط أبحاثها وممارساتها بالعالم العربي، حيث تساءل العلاقة بتميز الهوية، ثم بكونيتها. شاركت في العديد من المعارض بجهة الشرق أو بعلاقة مع جهة الشرق، كمعرض «Convergence» سنة 2008 بوجدة، و«Histoires2rives» سنة 2012، حيث تكفلت بأمانة المعرض، و«Le Monde des Jarres» في نفس السنة في حديقة للا مريم بوجدة، وفي سنة 2015 «Entre Nous, Etre Nous l'Oriental Marocain»، ثم «Les Chemins du Sacré»، سنة 2017، بمعهد العالم العربي.

تتعرض المواضيع المطروحة في المعارض التي شاركت فيها إلى الإشكاليات التي تشغلني والتي أرتبط بها بحكم عملي التشكيلي. وقد كان الموضوع الذي هز مشاعري بقوة هو «Hall Andalus» حيث أنتجت «Là-bas» في أكتوبر 2011، إنجاز على شكل محاضرة مزيفة : وسط مؤرخين مختصين في الفترة الأندلسية، كنت أقرأ نصا يصور المبادلات بين المشرق والغرب.

«توازن هش»، صباغة على ورقة نحاسية ملصقة على ورق ياپان مذهون، 80x120 سنتيمتر، 2008

يتعلق الأمر بمساءلة التنوع الثقافي والتأثيرات كانتماءات كثيرة وإعادة تملك يقوم بها العالمين الغربي والمشرقي.

في سنة 2012، اقترح علي معرض «Histoires2rives» تمديد هذه المحاضرة المزيفة مع انتداب وتخطيط متحفي للعرض، حيث دعوت فنانين وعلماء للتفكير في المرور من أفق لآخر، مع عبد الرحمان التازي، مخرج سينمائي، ووليام بوتي، راقص، والعديد من الفنانين المهتمين بالفنون المرئية. وهنا، استطعت أن أنظم تظاهرات وطاولات مستديرة أسميتها «Tapis volants»، وهي زرابي مطوية وممددة في الفضاء تستقبل الجمهور والفنانين. تطرح محاضرات ومختلف أنواع النقاش رصيدها من الحلم مع تقديم مختلف المفاهيم المرتبطة بها، كالسفر (الانتقال، التجوال) أو التأمل (العبادة، الراحة، أو التفكير). يتعلق الأمر بالتفكير وأيضا بالسؤال. إنها أيضا وسيلة لاختلاط الجمهور والضيوف في فضاء أعيد تشكيله وبشكل متحرك، وقد عشنا لحظات قوية. إن السفر والاكتشاف يصنعان الفنان بنفس قدر انتماء كل واحد لمجاله الترابي. واعتبارا للأحداث التي شاركت فيها، فأنا لست نادمة، ولكن أرغب في مضاعفة مناسبات تنظيم تظاهرات ثقافية مماثلة لفائدة الفنانين المغاربة وتوفير فرص العمل مع فنانين آخرين في إطار ورشات عمل أو أنشطة أخرى. وقد برز الاهتمام بجهة الشرق واضحا خلال المعارض وخلال هذه التظاهرات.

إن الأعمال الفنية تساءل وتترك آثارا. والمعرض هو أيضا مجموع الصور الفوتوغرافية والمراسلات والمشاريع التي تمتد في الوقت.

في إطار عملي، أهتم بما يحكم العالم النسوي في جانبه الأكثر حميمية. كيف يمكن لمفاهيم الحدود والانفصال والعتبة، أي العبور والحركة، أن تبرز بعض التماثل مع البيت المغربي الحضري التقليدي الذي، في بعض جوانبه، يمكن أن يشبه عالمنا النفسي ؟ كيف يمكن للتقاليد والتربية أن تلازمنا ؟ كيف نحمل كل النساء داخلنا، عمات وخالات، جدات، وبنات عم... ؟

أنا أشتغل حول الاحتياج والنسيان ولغز العودة. ويمكنني هذا الأمر من إنتاج أعمال فنية ما كنت لأنجزها لو لم أغادر وطني. المسافة تسهل التحرر.

نحن و الآخر

الشيخ مصطفى بنحمزة
رئيس المجلس العلمي لوجدة

الكاتب رئيس المجلس العلمي لوجدة. وهو صاحب كلمة مسموعة بالجهة، وبالمملكة وحتى على الصعيد الخارجي. وبالتالي فهو الأقدر للقيام، بمعهد العالم العربي بباريس، بتفسير لماذا وكيف يلتزم الإسلام بأن يكون منفتحا على «الغير» ؟

في المستهل أحب أن أعبر عن سروري لوجودي ضمن هذه الحلقة العلمية التواصلية، التي تعقدها وكالة تنمية جهة الشرق بتعاون مع معهد العالم العربي بباريس. وهذه حلقة أتاحت فرصة ثمينة للحوار ولتبادل الأفكار بين علماء ومفكرين ومثقفين وفنانين ينتمون إلى الضفتين الشمالية والجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، الذي ظل عبر تاريخه الطويل مساحة للالتقاء والتواصل الثقافي ولتبادل العلوم والمعارف.

إن الحلقة التي نحضرها جميعا تتيح لقاء مستوجبا وجديرا بالترحيب، لأنها تنعقد في زمنها وفي ظرفها التاريخي. الذي أصبحت فيه روح التسامح والتواصل تتراجع، وأصبحت سماؤه تتلبد بسحب داكنة مانعة للرؤية، حاجزة دون التواصل والالتقاء.

إن مؤشرات نجاح هذا اللقاء من حيث هو، وبصرف النظر عن عوائده ونتائجه، أن يلتقي فيه مثقفون وفنانون حملوا إليه الكثير من الأعمال الفنية، والإنتاجات الأدبية المكتوبة والشفوية، وعرضوا فيه الكثير من اللوحات الخطية ومن الجداريات الحافلة بالمعنى، كما عرضوا فيه الكثير من القطع الفنية المادية المعبرة عن تغلغل الحضارة في كيان الإنسان المغربي ومن زمن قديم.

وحديثي إليكم أيها السيدات والسادة ضمن هذه الباقة من العروض، هو حديث تحدده عناصر ومعطيات موضوعية، من أهمها وجوب التماهي والانسجام مع القصد العام من عقد هذا اللقاء، وهو قصد يتحدد أساسا في الرغبة في التعارف والتواصل والمكاشفة، في مسعى لقطع الطريق على دعوات الصدام الحضاري والاحتراب الديني.

وموضوع حديثي مستوحا أيضا مما يمثله المكان من رمزية اللقاء الثقافي الراقي، الذي يعول عليه حينما يتعلق الأمر بتعارف الثقافات وتواصلها وتكاملها، وهو لقاء يسمح للثقافات جميعها، وخصوصا الثقافة الإسلامية والعربية بأن تعبر عن كينونتها وهويتها وإنسانيتها، وقدرتها الفائقة على استيعاب الآخر واحتضانه، وعلى بناء جسور التواصل معه. وتأسيس برامج العمل المشترك خدمة للإنسان.

يتمحور حديثي حول قضية لها راهنيتها واستثنائيتها أيضا، وهي قضية رؤية الإنسان المسلم إلى غيره، حين ينطلق من مقررات الإسلام وعطاءات الشريعة، ومما راكمه التراث الفقهي الإسلامي في موضوع التعامل مع الغير، لأن التعامل مع الغير هو ككل التصرفات التي لا يجوز لمسلم أن يقدم عليها، إلا بعد علم حكم الله فيها. ولأن المبتغى الأكبر من الشريعة هو إخراج الناس من داعية الهوى إلى أن يكونوا عبادا لله اختيارا، كما هم عباده اضطرارا.

ومتابعة الهوى في منطق الإسلام تعني تحييد الشريعة ونبذ أحكامها، سواء كان من يحتكم إلى هواه متدينا تحركه عاطفة جياشة قد تخطئ أكثر مما تصيب، أو كان صاحب الهوى إنسانا آخر نبذ الإسلام وولاه ظهره، وانطلق من مرجعية أخرى لا دينية، أو لا إسلامية على الأقل.
إن واقع المسلمين يشكو أعطابا كثيرة، جراء غياب العلم، والصدور في المواقف عن العاطفة الساخنة غير المتعقلة. وأمام هذا الوضع يوجد آخرون من الصف الآخر متربصون وعاملون بكل جد على إيقاد الشرر وتأجيج النيران إذا أوشكت أن تخبو وتنطفأ. وبالتقاء الفصيلين معا، يقع الصدام وتراق الدماء.

الأكيد أن الرابح من حالات الاحتراب ليس أحد الطرفين وإن كان فاعلا في ذلك، وإنما المستفيد من الحروب دوما هم باعة السلاح وتجار وسائل التدمير والمعتاشون من كل الخراب الذي يخلفه الصدام.
ومن جهتنا نحن الأمة الإسلامية، فإننا مدعوون إلى إيجاد وعي بالمرحلة التي نعيشها وبمقتضياتها، فنعمل على بعث فقه التعامل مع غير المسلمين كما هو مدروس ومتوسع فيه في كتبنا الإسلامية.
وفي هذا الصدد، يجب أن نعلن أن المقصد الأسمى من مجيئ الإسلام وابتعاث الرسول صلى الله عليه وسلم هو خدمة البشرية، وإلحاق الخير بها، وجعلها مشمولة بالرحمة التي هي مناط الرسالة. يقول الله تعالى (*وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ*)، ويقول (*يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا*) هذه الآيات تحدد المقصد الأسمى والسقف الأعلى لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم في تعامله مع أمته، ومع غير المؤمنين به، وهي لا تجعل إبادة المخالفين هدفا من أهدافها، ولا غاية من غاياتها.

ومما ينبغي إبرازه أن الله تعالى بيَّن للمؤمنين قبل غيرهم أنه هو من خلق الناس مختلفين في أفكارهم وعقائدهم واختياراتهم، وكل ذلك من مشيئته سبحانه، لأن الله لو شاء لخلق الناس أمة واحدة، على عقيدة واحدة. يقول الله تعالى (*وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً*) وقال أيضا (*وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ*) ولذلك وجب اعتقاد أن الاختلاف بين الناس هو مظهر المشيئة الإلهية، وأن محاولة تنميطهم وصياغتهم ليكونوا موحدين في العقيدة والدين هي معاكسة للمشيئة الإلهية.

> *الله تعالى بيَّن للمؤمنين قبل غيرهم أنه هو من خلق الناس مختلفين.*

الشيخ مصطفى بنحمزة يحاضر بمعهد العالم العربي

ومع ذلك يظل الإنسان المسلم مطالبا بالانفتاح على الغير، وبتعريفهم حقيقة الإسلام ومضامينه. وذلك يتم بأساليب لا علاقة لها بالعنف، ومنها الكتابة والحوار والترجمة وتبادل المعلومات والمنشورات وتأسيس مراكز البحث والتعاون الثقافي وما إلى ذلك. وهذه الوسائل تتطلب التأهل لها والاستعداد لتفعيلها.
ومن الحقائق التي وجب التعريف بها، أن الله تعالى يريد أن يضمن للإنسان كيفما كان دينه وتوجهه حقوقه الأساسية ابتداء من حقه في الحياة، ثم الكرامة، وقد ذكر القرآن الكريم أن إبراهيم عليه السلام لما أسس بيت الله الحرام بمكة، دعا وقال

الله تعالى يريد أن يضمن للإنسان كيفما كان دينه وتوجهه حقوقه الأساسية.

(رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) لكن الله أجابه بأنه سيمنح رزقه لمن آمن ولمن لم يؤمن معا، فقال *(وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ)*، أي أن البشر لا يحرمون حقهم في الحياة وفي الرزق بسبب ما هم عليه، وإنما يأتي جزاؤهم يوم القيامة أمام الله تعالى.

وفي سلوك رسول الله صلى الله عليه وسلم شواهد عديدة على حرصه على حفظ حياة غير المسلمين مثل حرصه على حفظ حياة المسلمين. يذكر السرخسي في شرح كتاب السِيَر الكبير أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى أهل مكة حين أصابهم القحط بخمسمائة دينار، ودعا أبا سفيان وصفوان بن أمية إلى أن يفرقا ذلك المال على فقراء مكة، وهم يومئذ مناوؤون للرسول صلى الله عليه وسلم ومخالفون له. ويذكر أبو عبيدة في كتاب الأموال أن النبي صلى الله عليه وسلم تصدق بصدقة على بيت أهل بيت من اليهود فهي تجرى عليهم.

واستمرارا في هذه السبيل، فقد مر عمر بن الخطاب بشيخ يهودي أعمى وهو يتسول بالأبواب، فلما عرف حاله منحه من ماله هو، ثم أمر خازن بيت المال أن يرتب له عطاء، وقال له «*أنظر هذا وضُرَبَاءَهُ فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم*».

وفرع الفقه الإسلامي على هذه النصوص أحكاما كثيرة، ونسج على منوالها حتى تشكل من مجموع هذه الأحكام علم قائم الذات هو «علم السِيَر» وهو علم يحدد طبيعة العلاقة بين المسلمين وغيرهم، وقد كتب فيه محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة، وكتب من قبله أبو يوسف في موضوع السِيَر، وشرح السرخسي كتاب السِيَر لمحمد بن الحسن شرحا وافيا فيه تفاصيل عديدة.

ومنشأ هذا كله وأصله هو المعاهدة التي أبرمها النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود بعد دخوله المدينة، وفيها حدد حقوقهم وواجباتهم، فكانت المعاهدة أصل القانون الدولي ومنطلقه عند المسلمين.

ومن الأصول التي قررها القرآن في مجال التعامل مع غير المسلمين، أنه يجب البرور بهم والإحسان إليهم، إلا إذا كانوا قد اختاروا الاعتداء على المسلمين فعذبوهم وأخرجوهم من ديارهم وشردوهم عن أوطانهم حينذاك يختلف التعامل، يقول الله تعالى *(لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)* وفي غير ما مرة يلح القرآن على العدل والقسط مع الآخرين، ويحذر من أن يكون الشنآن باعثا على الظلم *(وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ)*.

والعدل المطلوب هو العدل بأوسع معانيه، ومنه العدل في التقويم وفي الرؤية وفي التعبير. يقول الله تعالى *(وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا)*.

ومن أجل نشر روح التفاهم والتسامح، فإن القرآن يدعو إلى التهيئ لها باعتماد لغة جميلة لا تخدش المشاعر ولا تسيئ إلى الآخر. يقول الله تعالى (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) وكلمة الناس تستوعب المؤمن وغير المؤمن. وفي حال المجادلة والمحاورة والدفاع عن الرأي، وهي حالة قد يكتنفها التوتر والانفعال، فإن القرآن يوصي المؤمنين بانتقاء اللغة الجميلة الحسنة فيقول (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ). وبعد هذا فإنه لا بد من توجيه الخطاب إلى هذا الآخر، الذي يبدو أن تيارات اليمين المتطرف والعنصرية الرافضة للغير، قد نجحت في استمالة جزء منه، وفي زرع روح التوجس والخوف من الإسلام والمسلمين في نفسه، فصارت الإسلاموفوبيا شعورا متمددا ومكتسحا تشتغل عليه كثير من التيارات السياسية في أوروبا وأمريكا، بعد أن أعوزها أن تجد لها مشروعا آخر مجتمعيا للاستقطاب ولاجتذاب الناخبين.

وقد استغلت هذه التيارات اليمينية المتطرفة، بشكل مبالغ فيه وغير منصف، كثيرا من الوقائع الدامية، التي وقعت بعد بروز تيار التطرف في العالم كله. والحقيقة أن ما صدر عن الفئات الممارسة للتطرف ينم عن جهل بأحكام الإسلام في موضوع التعامل مع الغير، بل وينم عن رفض صارم للتعلم وللأخذ من المصادر الفقهية الموثقة. وقد أوحت تلك التيارات اليمينية المتطرفة والعنصرية إلى الناس أن المسلمين، حيثما وجدوا، هم حملة فكر الصراع والتدمير، وصورت هذه التيارات أن المسلمين كانوا دوما كذلك. وأن عطاءات القرآن والسنة هي التي تدفع في اتجاه الخصومة مع الآخر. والواقع أن المسلمين لم يكونوا كذلك، بل إنهم ظلوا خلال القرنين السابقين على الأقل، مستهدفين بحملات الاستعمار، وبغزوات الجيوش التي أوغلت في القتل، وفي إبادة المواطنين العزّل مما يمكن الاطلاع عليه في تقارير الضباط الفرنسيين في الجزائر وفي غيرها من البلاد الإسلامية المستعمرة.

أما ممارسة الإرهاب والاغتيال، فإن ذلك سلوك ظهر في بلاد غير إسلامية عبر تاريخ طويل متلاحق، ففي روسيا القيصرية مثلا اغتيل خمسة قياصرة في أقل من مائتي سنة بين عامي 1762 و1918، وفي أمريكا اغتيل سياسيون كثيرون من أبرزهم إبراهام لنكولن الذي قتله ممثل مسرحي مثقف وهو يشاهد عرضا مسرحيا، وبعد لنكولن اغتيل ثلاثة رؤساء أمريكيين، واغتيل من الزعماء السود كثيرون من أبرزهم مارتن لوثر كينغ، ومالكوم إيكس... وفي الهند اغتيل ألماهاتما غاندي ثم أنديرا غاندي وراجيف غاندي والقائمة طويلة لا يحيط بها التقصي المتعجل. ولا زالت حوادث القتل في كل البلاد متواصلة، خصوصا في الثانويات والنوادي الليلية وغيرها. كل هذا لا يقال إلا من أجل رفع انحصار التهمة في المسلمين باعتبارهم هم إرهابيو العالم.

ومن أجل تجاوز هذه الأزمة، فإنه لا بد من الدخول في مشروع يقوم على أساس من المعرفة بالإسلام وطبيعته، ولابد من البدء بالمسلمين أنفسهم لتعريفهم بالإسلام كما هو، وكما تأصل منذ خمسة عشر قرنا، وكما تقرر في كتب الفقه الإسلامي، وفي كتب السِيَر خصوصا.

> *لا بد من الدخول في مشروع يقوم على أساس من المعرفة بالإسلام وطبيعته.*